الانتماء للإسلام

واجبات وحقوق

تعليم ذاتي يُعرِّف المسلم بالواجبات التي عليه أداؤها
والحقوق التي كفلها الإسلام له

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

الانتماء للإسلام
واجبات وحقوق

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٤) : الانتماء للإسلام .. واجبات
وحقوق. / مركز أصول - ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٢ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧١٢
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-٢٠-١

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فإن انتماءات الناس تتنوع، فمنهم من ينتمي للأوطان، ومنهم من ينتمي للأديان، ومنهم ينتمي للأحزاب، وغير ذلك، ومنهم من يجمع بين أكثر من انتماء، وكل من ينتمي إلى شيء فلديه أسبابه ومبرراته، ولديه أيضًا من الأفعال ما يدلل على صدق انتمائه، وهنا تظهر أسئلة في ذهن المسلم:

لماذا أنتمي للإسلام؟ وما الأسباب التي تدعو إلى الانتماء إليه من بين سائر الأديان؟ وما هي الواجبات والحقوق التي تترتب على هذا الانتماء؟

وللإجابة عن هذا الأسئلة يأتي هذا الكتاب؛ ليعالجها بطريقة تعزز الالتزام بهذا الدين، وتعزز التمسك به وبما فرضه من واجبات وما أعطاه من حقوق؛ فعندما يتبين الإنسان الأسباب التي تدفعه إلى أن ينتمي للإسلام، وحين يتعرف على فضائل الإسلام ومحاسنه العقدية والتشريعية والأخلاقية، ويتبين المقومات التي تجعله دين الحق، ثم الأسباب التي توجب التمسك بشريعته، ويكتشف أنه الخيار الوحيد والأفضل للإنسان الباحث عن الحق؛ سيكون التزامه بواجباته أكبر وأشد.

سيبين الكتاب أيضًا حقوق المسلم؛ حقه على أخيه المسلم، وحقه على المجتمع، كما سيبين البشريات التي وعده الله تعالى بها في الدنيا والآخرة إن استقام على دينه وأدى واجباته، وهذا سيجعله يتنعم بحقوقه التي هي له ويعطيها قدرها.

لم نقصد ذكر جميع الحقوق والواجبات، لأن هذا يطول، لكننا ذكرنا أمثلة لتقريب المراد، ثم ذيلنا البحث بخاتمة اشتملت على بيان تكامل الحقوق والواجبات المترتبة على الانتماء إلى الإسلام.

فاللهَ نسأل أن يجعل هذا الكتاب نافعًا لقارئه، وثوابًا وذخرًا لكل من ساهم في تأليفه وإصداره ونشره.

محتويات الكتاب

المحور الأول

محاسن الإسلام وفضائله

تمهيد ١٠

محاسن الإسلام العقدية ١٢

محاسن الإسلام التشريعية ٢٠

محاسن الإسلام الأخلاقية ٢٤

التقويم ٢٨

المحور الثاني

ديننا دين الحق وشريعتنا خاتمة الشرائع

الإسلام دين رباني المصدر ٣٤

المبررات التي تدفع لاختيار الإسلام دينًا ٤٢

مبررات الالتزام بشريعة الإسلام ٤٦

التقويم ٥٤

المحور الثالث

واجبات المسلم تجاه دينه

واجبات المسلم الشخصية ٦٢

واجبات المسلم الاجتماعية ٨٢

واجبات المسلم الدعوية ٩٢

التقويم ١٠٠

المحور الرابع

بُشْرَيات المسلم إن استقام على دينه

العطاء يقابَل بالعطاء ١١٠

بشريات المعونة والفوز العظيم ١١٢

التقويم ١١٦

محاسن الإسلام وفضائله

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يُعَرِّفَ بفضائل الإسلام ومحاسنه العقدية.
- يُعَرِّفَ بفضائل الإسلام ومحاسنه التشريعية.
- يُعَرِّفَ بفضائل الإسلام ومحاسنه الأخلاقية.
- يعزز ثقته بما هو عليه من إيمان بالله.

تمهيد

من الصور المشرقة في سيرة النبي ﷺ، قصة الصحابي الجليل زيد بن حارثة ﷺ قبل البعثة، فعندما كان في الثامنة من عمره، سافرت به أمه لزيارة قومها، فجاءت غارة فأخذته وباعته في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بن خويلد زوج النبي ﷺ، فأهدته له فأعتقه وحرره.

وفي موسم من مواسم الحج قصد البيتَ الحرام نفر من قوم زيد، فعرفوه وعرفهم، فلما رجعوا أخبروا والد حارثة -وكان قد حزن على فقد ابنه حزنًا شديدًا وقال فيه أبياتًا من الشعر- فتوجه مع أخيه إلى مكة وطلبا من النبي ﷺ أن يستردا ابنهما بأي مبلغ من المال، فقال لهما: بل أدعوه لكم، فخيروه بيني وبينكم، فإن اختاركم، فهو لكم بِغير مال، وإن اختارني، فما أنا بالذي يرغب عمن اختاره.

فاختار زيد النبي ﷺ قائلًا: بل أُقيم معك، وما أنا بالذي أختار عليك أحدًا، أنت الأب والعم. وعندما نهره أبوه قال: إني رأيت من هذا الرجل شيئًا، ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا. [أُسْد الغابة ٢/ ٣٥٠].

استوقفتني هذه القصة كثيرًا وأخذت الأفكار والأسئلة تنهال على مخيلتي:

ما الذي جعل زيدًا يشعر بالانتماء إلى النبي ويختاره على أبيه وعمه؟

لو كنتُ مكانه ماذا كنتُ فاعلًا؟

نقلتني القصة باتجاه اختيارات أخرى في الحياة، نحو قضايا يتوجب أن نختار بينها، ولا نستطيع الجمع بينها؛ كالحق والباطل، والصواب والخطأ، فراودني السؤال التالي:

الخلق يفترقون حول الدين، وينتمون إلى أديان شتى، وأنا مسلم، أنتمي للإسلام، فما هي دوافعي لهذا الانتماء؟

كيف أشرح للناس أنني على الجادة الصحيحة، وأن اختياري هو الصواب؟

ثم ماذا يترتب على انتمائي للإسلام من التزامات؟

لا شك أن لزيد بن حارثة أسبابًا مقنعة في اختياره الانتماء إلى النبي ﷺ، ومن المؤكد أنه رأى فيه من المحاسن ما جعله يعدل عن اختيار أبيه وعمه، وأنا اخترت الإسلام دينًا أنتمي إليه، فما هي محاسن هذ الدين التي تجعل الانتماء إليه هو الاختيار الصحيح دون غيره؟

محاسن الإسلام العقدية

التوافق مع العقل:

بدأت في بحثي عن مبررات انتمائي للإسلام من العقيدة، فأول وأهم شيء في أي دين يؤمن به الإنسان هو عقيدة هذا الدين، فهل عقيدة الإسلام متوافقة مع العقل السليم، أم أن فيها ما يخالف العقل؟

هل ينطبق على عقيدة الإسلام قول القائل: إن الإيمان والعقل متعارضان غير متوافقين؟

هل يوجد في الإسلام نص ديني واحد يطلب من الإنسان أن يغفل عقله عند الإيمان به؟

هل توجد آية أو حديث أو أثر من ضمن تعاليم الإسلام تدعو إلى مقولة: "اترك عقلك واعتقد"؟

هل يدعو الإسلام إلى حَجر العقل وجمود التفكير وإهمال العلم بأي شكل من الأشكال؟

قلت لنفسي: بل العكس هو الصحيح، ففي كتاب الله آيات وآيات تدعو إلى إعمال العقل، وتجعل من التفكير فريضة وعبادة، وتجعل من إهمال العقل جهالة وعمى!

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

وقال جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: ٨٠].

وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ١٧٠، ١٧١].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٠ - ٢٢].

اقرأ هذه الآيات بتأمُّل وتفكُّر فسوف تجدها تجيب عن تلك الدعوى.

فكيف لدين يناقض العقل أن يذمَّ من يهمل عقله؟!

أم كيف يكون يحجر على العقل ثم يدعو إلى إعماله؟!

ولو كان الإسلام يلعن العقل أو يهمله -كما يزعم البعض- فكيف يفسِّرون دعوته لتحكيم العقل والتفكُّر للوصول إلى الحقيقة؟!

إن من محاسن الإسلام أنه قدَّر العقل وأعلى مكانته، وجعله الحَكَم في اختيار الدين الصحيح.

إن من جمال الإسلام أنه أعطى العقل منزلته المحددة، وجعل للعقل ميزانًا ضابطًا حتى لا يضل، وجاءت التعاليم الربانية لترشد العقل في المسائل التي لا يستطيع تصورها، كمسائل ما وراء الطبيعة: أي العقائد الخاصة بالغيب؛ كمعرفة الله سبحانه، واليوم الآخر، وأصل الخلق، وسبب الوجود والمصير، فالعقل ميزان، والدين الحقُّ هو الذي يضبط هذا الميزان ويصلحه ويسد نقصه.

نتيجة

إن من أعظم محاسن عقيدة الإسلام:

١- أنها لا تتعارض مع العقل، ولهذا يسهل على العقل تقبُّلها، وهذا التوافق بين الإسلام والعقل، ترتاح له النفس ويطمئن له القلب.

٢- أنها تقود العقل إلى الهداية في مسائل لو ترك فيها وحيدًا لتاه في طريقه، فلا يصل إلى نتيجة يتفق عليها الجميع، ولا ينتهي بهم الأمر إلى الوحدة والانسجام ولا إلى الهدوء والطمأنينة.

إثراء

١. هل ترى في مقولة: (أن الدين جاء هاديًا للعقل) ما يقلل من قيمة العقل في الإسلام؟ بيِّن ذلك.

٢. أي المقولتين تبرز محاسن الإسلام في علاقته مع العقل بشكل أوضح؛ مقولة: الإسلام دين العقل أم مقولة: جاء الدين هاديًا للعقل؟ ولماذا برأيك؟

بعد أن وضعت قاعدة محاسن عقيدة الإسلام وأنها لا تتعارض مع العقل، بدأت في عرض أهم عقائده على هذه القاعدة، وإنَّ أول هذه العقائد وأهمها الإيمان بوجود خالق واحد لا شريك له لكل هذا الكون بما فيه، وهذا يتضمن أمرين؛ وجود خالق، ووحدانيته.

الإيمان بالخالق ضرورة عقلية وفطرية:

كثيرٌ من الناس اليوم ملحدون لا يؤمنون بوجود خالق، وقد أبطل الله عز وجل هذه العقيدة وبيَّن فسادها بآية واحدة هدمتها من أساسها، يقول تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

تأمل هذه الآية:

ماذا تفهم منها؟

هل يقبل عقلك خلقًا من غير خالق؟! كيف تفسر وجود السماوات والأرض؟

هل رأيت -أو سمعت بمن رأى- مصنوعًا من غير صانع؟ وعلام يدل هذا؟

إن عقل الإنسان يصرخ بوجود الخالق، وإن فطرته تنادي بالإيمان بالله، وإن من أعجب العقائد التي تدَّعي العقلانية عقيدة الإلحاد التي تنكر وجود الخالق، فهي عقيدة هشة منقوضة بأدنى تفكُّر وأقل تأمُّل!

ولهذا فإن أحد الصحابة عندما سمع قبل إسلامه الآية السابقة كاد قلبه يطير، فإن الإنسان يعلم من نفسه أنه لم يخلق نفسَه ولم يخلق شيئًا في هذا الكون، وكذلك يعلم أن هذا الكون لا يمكن أن يوجِد نفسَه ولا أن يوجَد بلا موجِد، فلا بد إذًا أن يكون هناك من أوجد كل هذا وخلقه، هذا من البديهيات عند أصحاب العقول السليمة.

وهنا يأتي السؤال: فمن الذي خلق هذا الكون؟

يأتي الجواب في القرآن الكريم في كثير من الآيات:

يقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: ١٦].

ويقول: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢].

فخالق الكون -جل وعلا- خاطب الناس بكلامه، وعرَّفهم بنفسِه وبيَّن لهم أنه هو خالقهم، ولم يتركهم يتخبطون دون أن يعرفوا مَن خلقَهم، وهذا من فضله على عباده ورحمته بهم.

وبناء على ما سبق يكون الإيمان بالله خالقًا لهذا الكون، متوافقًا مع العقل والفطرة، قال سبحانه وتعالى:

﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

خلاصة

إن من محاسن عقيدة الإسلام أنها تدعو للإيمان بالإله الذي خلق كل شيء، فهذا يوافق العقل ويوافق نداء الفطرة التي تدفع كثيرًا من الناس -على اختلاف معتقداتهم وثقافاتهم وأجناسهم- للتفكير فيمن أوجد هذا الكون، فيجدون الجواب في كتاب الإسلام "القرآن الكريم".

إثراء

إن أول الآثار التي يُخلِّفها الإلحاد في نفوس الأفراد، هو القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي.

- **قارن بين هذا الأثر وبين أثر الإيمان بالخالق، مبرزًا محاسن الإيمان بوجود الله.**
- **اذكر آثارًا سلبية أخرى لفكرة الإلحاد على الأفراد والمجتمع، مستعينًا بالأبحاث المنشورة على الإنترنت.**

وحدانية الخالق:

عقيدة الإسلام لا تقول إنَّ الله عز وجلَّ هو الخالق لكل شيء فحسب، بل إنها تقول إنه لا خالق سواه، فهو وحده الخالق المالك المدبر للكون والمتصرف فيه، لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره، ويلزم من هذا ألا يُعبَد أحدٌ سواه.

وهذا يتوافق مع العقل والفطرة كذلك، وقد ردَّ الله على دعاوى القائلين بوجود أكثر من إله خالق في أكثر من آية:

كما في قوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكما في قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٢، ٤٣].

وكما في قوله جلَّ وعلا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩].

ماذا تفهم من النصوص السابقة؟

الشريك له الحق في التحكم بالشيء المشارك به، فماذا لو اختلف الشركاء في إدارته؟

لماذا تفسد الشركة إن كان لها رئيسان؟

أيهما يعد من المحاسن والفضائل، الوحدانية أم الشرك، ولماذا؟

إن القول بتعدد الآلهة الشركاء في خلق الكون تناقضه طبيعة الشركة، واختلاف مشيئة الشركاء في تسييرها، فإن دقة نظام الكون وإحكامه، وانسجام مسيرته تؤكد وحدة المسيِّر، وبالتالي وحدة الخالق، إذ

لو تعدد الخالقون لفسد الكون؛ لاختلاف مشيئاتهم، كما أن تعدد رؤساء الشركة يؤدي لفشلها، ولله المثل الأعلى.

والخالق لا ينبغي أن يكون معه شريك يُعبَد معه، وإلا سيضيع العبد بين الشركاء، وسيقع في الشتات والاضطراب، حيث لا يعرف من يرضي منهم.

ولا يخفى على عاقل أن عبادة إله واحد أقرب إلى العقل والنفس والفطرة من الشرك، فمن البديهي أن يُعبَد الخالق، وألا يُعبَد من لا يخلق، يقول تعالى:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

[النحل: ١٧].

صفات الله العلا وأسماؤه الحسنى

من محاسن عقيدة الإسلام، الإيمان بخالق واحد كامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ له الصفات العلا والأسماء الحسنى.

قال الله سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة» [رواه البخاري برقم ٢٧٣٦].

- **ما** العلاقة بين إحصاء أسماء الله الحسنى وبين دخول الجنة برأيك؟
- **ما** أثر أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا على المؤمنين به سبحانه؟
- **كيف** تؤكد أسماء الله الحسنى على محاسن الدين الإسلامي؟

إن الله سبحانه وتعالى عرَّفنا بنفسه من خلال أسمائه وصفاته، وحثَّ المؤمنين به على معرفة تلك الأسماء والصفات؛ ليتبينوا حسنها وجمالها وسموها وجلالها وعظمتها، والتي تزيد معرفتهم ويقينهم بحسن عقيدتهم وجمالها، تأمل معي وتدبر هذه الآيات:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢، ٢٤].

تأمل في أسماء الله وصفاته المذكورة في هذه الآيات: (الملك) (المهيمن) (العزيز) (الجبار) (المتكبر)، ما المعنى العام الذي تندرج تحته؟ وبماذا يشعرك اجتماع هذه الصفات في موصوف واحد؟

ثم قارنها مع الأسماء والصفات الأخرى: (الرحمن الرحيم) (السلام) (المؤمن) (القدوس)، ما المعنى العام الذي تندرج تحته؟ وبماذا يشعرك اجتماعها في موصوف واحد؟

مـا الأثـر الـذي تبعثـه الأسـماء والصفـات السـابقة في النفـوس؟

إن لله سـبحانه أسـماء وصفـات جـلال وجمـال، والمقصـود بأسـماء وصفـات الجـلال تلـك الأسـماء والصفـات التـي تـورث العظمـة والهيبـة ومخافـة الله جـل وعـلا وتعظيمـه، وهـي المذكـورة في السـؤال الأول، ومنهـا أيضًـا اسـم القـوي وصفـة القـوة، واسـم القديـر وصفـة القـدرة، واسـم القهَّـار وصفـة القهـر، ومـا يشـبه ذلـك.

وأمـا أسـماء وصفـات الجمـال فهـي التـي تـورث المحبـة لله والرغبـة فيمـا عنـده سـبحانه وتعالـى، وهـي المذكـورة في السـؤال الثانـي، فـكل صفـة ينشـأ عنهـا المحبـة يقـال لهـا صفـة جمـال، كاسـم الرحمـن واسـم الرحيـم وصفـة الرحمـة، واسـم الغفـور وصفـة المغفـرة، واسـم الـودود وصفـة الـودِّ، ومـا يشـبه ذلـك.

فثمـرة معرفـة تلـك الصفـات والأسـماء هـي محبـة الله وتعظيمـه، لأن النفـس تميـل إلـى كل حسـن جميـل وتحبـه، كمـا تعظِّـم المتصـف بصفـات العظمـة، ولهـذا جـاء الأمـر بدعـاء الله تعالـى بهـذه الأسـماء لتكون آثارهـا حاضـرة في الذهـن، يقـول الله سـبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعـراف: ١٨٠]، فـكل اسـم لله تعالـى لـه تأثيـر علـى المؤمـن بـه حقًّـا، ويتفـاوت التأثيـر بقـوة الإيمـان، فمـن أحصـى تلـك الأسـماء علمًـا بهـا وعمـلًا بمقتضـى أثرهـا عليـه؛ نـال مـن الحُسـن مـا يؤهلـه لدخـول الجنـة.

وتأكيـدًا علـى أن الخالـق جـل وعـلا لا يماثلـه ولا يشـبهه أي شـيء مـن خلقـه؛ لا في ذاتـه ولا في أسـمائه ولا في صفاتـه ولا في أفعالـه قـال عـز وجـل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشـورى: ١١].

نشاط إثرائي

ارجـع إلـى القـرآن الكريـم والحديـث الشـريف واجمـع أسـماء الله الحسـنى واقـرأ في معناهـا ثـم صنِّفهـا إلـى أسـماء جـلال وأسـماء جمـال مـن حيـث فهمـك لهـا.

يمكنـك الاسـتعانة بكتـاب (القواعـد المثلـى في صفـات الله وأسـمائه الحسـنى) للشـيخ ابـن عثيمـين رحمـه الله، وكتـاب (صفـات الله عـز وجـل الـواردة في الكتـاب والسـنة) للشـيخ علـوي السـقاف.

عقيدة الإسلام تقوم على أسس فيها من المحاسن والمزايا ما يجذب العقل والنفس إلى الانتماء إليه؛ لأنها توافق العقل والفطرة ولا تصادمهما ولا تعارضهما.

وبإمكانك الرجوع إلى كتاب "لماذا أنا مسلم؟" من هذه السلسلة، لتقارن عقيدة الإسلام من حيث توافقها مع العقل وسهولتها ووضوحها وأثرها على الحياة، مع بقية العقائد في الأديان العالمية المنتشرة اليوم.

نتيجة

محاسن الإسلام التشريعية

قد يقول قائل:

لقد عرفت من محاسن عقيدة الإسلام ما يرضي العقل ويريح النفس، لكنَّ الإسلام عقيدة وشريعة، فبماذا تتميز شريعة الإسلام عن شرائع غيره من الأديان؟

وما الذي يمنع من الانتماء إلى شريعة غير الإسلام؟

اقرأ الآيتين التاليتين بتدبر:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ويقول أيضًا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

- **ماذا** تفهم من الآيتين؟
- **ما** الدين الذي ارتضاه الله سبحانه للناس؟
- **لماذا** لا يقبل الله تعالى من الإنسان غير الانتماء إلى الإسلام؟
- **ما** الميزة التي ذكرها الله تعالى للإسلام حتى رضيه لنا؟

إن من أجلِّ محاسن الشريعة الإسلامية التي تتميز بها عن سائر الشرائع؛ كمالها، وشموليتها، وعالميتها، وصلاحيتها لكل زمان ومكان بما تحمله من مرونة ذاتية، فالشريعة الإسلامية:

١. عامة من حيث المخاطَبين أينما كانوا؛ لأنها للناس كافة وليست للعرب فحسب، بينما كانت الشرائع السابقة لأمم محددة، قال عز من قائل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سبأ: ٢٨].

٢. وعامة من حيث الزمان، فهي خالدة إلى يوم القيامة، لا تُنسَخ بشريعة أخرى؛ لأنها نزلت على آخر رسول، قال سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣. وهي كاملة في محتواها وتامَّة في مقاصدها، وقد نص الله تعالى على كمالها فقال: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

٤. وإن من مقتضيات عمومها وكمالها أن تكون محفوظة من التبديل والتحريف، وقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

٥. وشريعة الإسلام تجمع بين الثبات والمرونة، وهذه الخاصية واحدة من مظاهر الإعجاز التشريعي الذي لا يمكن أن يوجد إلا في الشريعة الإسلامية؛ لأنها ربانية مُوحًى بها من الله الذي خلَق الخَلْق، وهو حكيم خبير محيط عليم بفِطَرهم وطباعهم وما يلائمها؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عَفْوٌ؛ فاقبَلوا من الله عافيته؛ فإن الله لم يكن لينسى شيئًا»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] [البزار: ٤٠٨٧، والدارقطني: ٢٠٦٦، والحاكم: ٣٤١٩].

فهل توجد هذه المحاسن في شريعة أخرى غير الإسلام؟

البحث والاستقراء للشرائع الموجودة في العالم اليوم يؤدي إلى جواب واحد: لا توجد شريعة فيها هذه الصفات مجتمعة.

إن الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ خاتمًا للنبيين، برسالة خالدة إلى يوم القيامة، أكمل بها سائر الشرائع السابقة، فلهذا لا يُقبَل من أحد بعد بعثته أن ينتمي إلا إلى هذه الرسالة وهذا الدين، ومن انتمى إلى غيره فلن يُقبل منه يوم القيامة، بل سيكون فيه من الخاسرين.

الشرائع الإلهية: هي الوحي الذي أوحى به الله عز وجل إلى رسله عليهم الصلاة والسلام؛ المتضمن لمختلف التوجيهات الربانية والأوامر والنواهي الإلهية، من أجل تبليغها إلى من أُرسِلوا إليهم ليهتدوا بها في حياتهم.

اقرأ معي بتدبر النصوص الآتية:

- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].
- وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩].
- وقال عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء: ٥٨].
- وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن قريشًا أهمَّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام فاختطب، ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» [رواه البخاري برقم ٣٤٧٥].
- **في** ضوء الكلام عن محاسن الشريعة الإسلامية كيف تفهم هذه النصوص؟
- **في** النصوص السابقة عدة مبادئ أكدت عليها الشريعة الإسلامية فما هي؟
- **ما** أثر العدالة والأمانة والوفاء بالعهود على الإنسان والمجتمع؟

ارجع إلى كتاب «العلاقات الاجتماعية في الإسلام» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن البعد التشريعي للعلاقات الاجتماعية .

نشاط إثرائي

١. **اذكر عددًا من محاسن الإسلام غير ما ذُكر سابقًا.**

٢. **قارن بين شريعة الإسلام والشرائع السماوية السابقة من حيث الاتفاق والاختلاف.**

يمكنك الاستعانة بكتاب "أركان الإسلام حِكَم وأسرار" من هذه السلسلة، ففيه من المحاسن الكثير.

الانتماء إلى شريعة الله:

إن شريعة مصدرها الله الحق العدل سبحانه -والذي لا ينظر إلى الصور والأجسام والأنساب، ولا يعطيها أي قيمة في التفاضل بين عباده، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال- لتشمل من المحاسن ما تدفع ذوي الفطرة السليمة إلى الانتماء إليها.

ومن تلك المحاسن ما تضمنته الشريعة من مبادئ الصدق والوفاء في العهود حتى مع الأعداء، وعدم التعدي على الأموال، وأداء الأمانة وعدم الخيانة، والعدالة والمساواة في ظل قانون الشريعة.

أضف إلى ما سبق أن التشريع الإسلامي جاء بما يحفظ على الناس معاشهم في الدنيا، ويضمن لهم نجاتهم في الآخرة، وذلك حين أمر بحفظ الضرورات الخمس وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال؛ ليعيش المسلم في هذه الدنيا ويعمل لدنياه وآخرته آمنًا مطمئنًّا، وليعيش المجتمع المسلم أمة واحدة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

يقول أحد العلماء: "إن مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة" [المستصفى للغزالي، ص:١٧٤].

ويقول عالم آخر: "مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على هذه الضرورات، بحيث لو انحرفت لم يبق للدنيا وجود من حيث الإنسان المكلف، ولا للآخرة من حيث ما وعد بها؛ فلو عُدِم الدين عُدِم ترتب الجزاء المرتجَى، ولو عُدِم الإنسان لعُدِم من يتدين، ولو عُدِم العقل لارتفع التدبير، ولو عُدِم النسل لم يمكن البقاء عادة، ولو عُدِم المال لم يبق عيش" [بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق (١/ ١٩٤)].

فإدراك هذه المحاسن ومعرفتها يرسخ في النفس والقلب والعقل من عظمة هذه الشريعة، ما يبعث على الاعتزاز بالانتماء إليها.

نشاط

١. ارجع إلى الإنترنت وابحث في خمس من محاسن تشريعات الإسلام، أو إلى كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية حيث ذكر دقائق تشريعاته، ولخص ما توصلت إليه وشاركه مع زملائك.

٢. ابحث في القرآن الكريم عن أصول حفظ الكليات الخمس (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال).

محاسن الإسلام الأخلاقية

راعى الإسلام الجانب الأخلاقي وأولاه اهتمامًا كبيرًا، ومن أدلة ذلك أنَّ النبي ﷺ حصر مهمته التي بُعِث بها من عند الله تعالى بالدعوة إلى الأخلاق الحميدة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ» [رواه الإمام أحمد في المسند برقم ٨٩٥٢].

وقال الله سبحانه وتعالى واصفًا نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، وأمرنا أن نقتدي به فقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

اقرأ الحديث والآية بتأمل وتفكّر، ثم أجب:

- **ماذا** تفهم منهما؟
- **إذا** كانت مكارم الأخلاق موجودة قبل الإسلام فما فضل الإسلام عليها؟
- **إن** كان رسول الله محمد ﷺ عظيم الأخلاق، فكيف ينعكس هذا إيجابًا على محاسن الإسلام؟

الأخلاق عامل من عوامل القوة في أي أمة، فإن قويت الأخلاق كانت الأمة عزيزة قوية منيعة عصية على أعدائها، وإذا فسدت الأخلاق فسد معها كل شيء، فسد الإنسان، وفسدت الأسرة، وفسد المجتمع، وفسدت الدولة، فتهاوت الأمة وخارت قواها وآلت إلى الزوال، لذا كانت الأخلاق الكريمة جزءًا أصيلًا من الإسلام لا تنفك عنه.

الذي يتتبع سيرة النبي ﷺ ستظهر له الأخلاق الحميدة الفاضلة متمثلة في واقع حياته عليه الصلاة والسلام، في ضوء ذلك:

١. تدبر وتفكر في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢. ابحث في سيرة النبي ﷺ عن مواقف تدل على عظيم خلقه.

٣. بيِّن كيف أثرت هذه المواقف على أصحابه، وساهمت في تربيتهم وتدريبهم على تلك الأخلاق.

نشاط إثرائي

اقرأ معي بتدبر وتأمل النصوص الآتية:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانًا» [رواه البخاري برقم ٥١٤٣].

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [رواه البخاري برقم ١٣].

- ماذا تفهم من هذه النصوص؟
- ما الأخلاق التي أمر الله بها في الآيات السابقة؟
- مم حذر النبي ﷺ المسلمين في الحديث الأول؟
- علِّل ربط النبي ﷺ بين أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه وبين الإيمان.

دعا الإسلام إلى محاسن الأخلاق وتمامها، وفي النصوص السابقة أمثلة ونماذج عن تلك الأخلاق الحسنة، فأمر فيها أتباعه المنتمين إليه بالمحبة، والأخوة، والكرم، والإيثار، وأن يتعاملوا بحسن الظن، ونهى عن الشحناء والبغضاء وأسبابهما؛ لينتشر السلام بينهم، وتقوى رابطة المحبة التي جعلها النبي ﷺ من شروط الإيمان الكامل.

جاء الإسلام بمحاسن الأخلاق ونهى عن سيئها، فأرسى مبدأً من مبادئ محاسن الأخلاق القولية بقوله سبحانه: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وأصّل لمبدأ محاسن الأخلاق الفعلية بقوله عز من قائل: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وشرع العدالة بين الناس ونهى عن العنصرية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

فإذا كان على الإنسان المقارنة أو المفاضلة بين مناهج متعددة ليختار واحدًا فينتمي إليه؛ فإن اختيار الانتماء إلى منهج يدعو إلى كمال الأخلاق هو الخيار الصائب، فليقرَّ عينًا، وليطِب نفسًا، وليطمئن قلبًا كل من انتمى إلى الإسلام فإنه نعم الانتماء.

نشاط إثرائي

ابحث عن محاسن الأخلاق التي أمر بها الله عز وجل في القرآن الكريم، والتي أمر بها النبي ﷺ في سنته؛ كالصدق، والأمانة، وبر الوالدين، وإحسان العشرة بين الأزواج، وعفة اللسان، والإحسان حتى للحيوان، وغير ذلك، وسجل عددًا منها وشاركها أصدقاءك.

ارجع إلى كتاب «العلاقات الاجتماعية في الإسلام» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن مفهوم العلاقات الاجتماعية وأبعادها .

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

١. **من محاسن العقيدة الإسلامية:**

أ. موافقة للفطرة

ب. لا تناقض العقل بل توافقه

ج. هادية للعقل في مسائل لا يمكنه الوصول إليها لوحده

د. كل ما سبق صحيح

٢. **الشريعة الإلهية تعني:**

أ. الوحي من الله تعالى لرسله والذي يتضمن مختلف التوجيهات والأوامر والنواهي الإلهية من أجل تبليغها الى أقوامهم ليهتدوا بها في حياتهم.

ب. مجموعة المواعظ والحكم التي اشتمل عليها كتاب من الكتب السماوية.

ج. مجموعة الأحكام والفرائض التي فرضها الله تعالى على العباد كالصلاة والزكاة.

د. مجموعة العقوبات والحدود التي أوجبها الله تعالى على من يرتكب جريمة أو إثمًا.

٢ عدِّد الجوانب التي يشملها عموم الشريعة الإسلامية.

.....

.....

.....

.....

٣ تعد قضية الانتماء للإله الواحد من المحاسن الكبرى في العقيدة الإسلامية، حيث تخلص الإنسان من الشتات والمشاكسة. كيف تفسر ذلك؟

٤ لماذا لا يقبل الله تعالى من الإنسان دينًا غير الإسلام بعد بعثة النبي محمد ﷺ ؟

٥ اذكر أثر الأخلاق في حياة الأمم.

٦ ما الطريقة المثلى لتعلُّم الأخلاق وتعليمها؟

٧ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. هدم الإسلام ما قبله من الأخلاق وجاء بأخلاق حميدة.

٢. جعل الإسلام العقل الحَكَم في اختيار الدين الصحيح.

٣. من آثار الإلحاد في نفوس الأفراد الاتزان في الشخصية والقوة النفسية.

٤. الإلحاد عقيدة عقلانية مدعومة بحجج قوية.

ديننا دين الحق وشريعتنا خاتمة الشرائع

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يُبَيِّن مقومات الإسلام التي تجعله دين الحق.
- يُعَرِّف بأسباب وجوب التمسك بشريعة الإسلام.
- يكتشف مبرر اختيار الإسلام من الإنسان الذي يبحث عن الحق.

الإسلام دين رباني المصدر

كانت النتائج التي توصلتُ إليها من البحث في محاسن الإسلام كثيرة ومرضية، وتدفع للانتماء إليه، وتجعل من انتسب إليه يعتز به، ولكنني أرى أن من حقي -ومن حق كل من خاض في هذا الموضوع- أن يخرج منه مطمئنًا كل الاطمئنان إلى صحة ما ينتسب إليه، فما زلت بحاجة إلى تفاصيل تؤكد الكلام المجمل؛ تفاصيل تجيب عن أسئلة قد تراود كل من دعي إلى الانتماء إلى الإسلام، وهي:

لماذا الإسلام هو الدين الحق؟ ما المقومات التي تجعله كذلك؟

ما المبررات التي تدفع الإنسان الباحث عن الدين الحق ليختار الإسلام دينًا؟

ثم ما الأسباب التي توجب علينا التمسك بشريعته والالتزام بها؟

المقومات التي تجعل الإسلام دين الحق:

إن الإسلام دين رباني المصدر، أرسل الله تعالى به عبده ورسوله محمدًا ﷺ لهداية الناس، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده، وإلى الإيمان بكمال الله المطلق، فليس دينًا من صنع البشر، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

أمِّيَّة الرسول:

اقرأ الآيات الآتية بتمعن شديد وحاول أن تحلِّل معناها:

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **لماذا** اختار الله سبحانه إرسال نبيٍّ أُميٍّ لا يقرأ ولا يكتب؟
- **على** ماذا يدل أن يجيء الرسول الأُميُّ بالقرآن العظيم؟

من اطلع على سيرة النبي محمد ﷺ يعلم أنه نشأ في بيئة أُمِّيَّة يندر فيها القارئون والكاتبون، بيئة قَبَلية تحكمها الأعراف التي توارثها الناس عن آبائهم، ثم فجأة وبغير مقدِّمات يخرج من بينهم رجل لا يختلف عنهم في بيئة أو نشأة أو معرفة أو ثقافة، فيأتيهم بكتاب في غاية الإحكام؛ نظمًا وترتيبًا ومضمونًا ومعنًى، ويخبرهم أنه مرسل من الله سبحانه ليهديهم إليه.

فمن أعمل فكره وعقله في هذا الأمر بإنصاف وجد أن أمية النبي من أكبر الأدلة عند ذوي العقول الصحيحة على صدقه.

لو جاءتك رسالة من صبي لا يتجاوز العاشرة من عمره، يعيش في قرية نائية منسية، لا مدرسة فيها ولا خدمات، وكانت هذه الرسالة في غاية البلاغة والفصاحة، ثم ختمها بقوله: "كتبها لي السيد فلان عندما زار قريتنا"، وكنتَ تعرف بلاغة وفصاحة هذا السيد المذكور، وتعرف أنه زار هذه القرية، فهل كنت ستشك في صدق هذا الصبي وفي نسبة مصدر الرسالة إلى هذا السيد؟

أيهما أقرب إلى العقل: أن يكون الصبي هو من كتبها -وقد علمت حاله وخبرته المعرفية- وأن يكون يكذب في نسبة الرسالة إلى ذاك البليغ الفصيح، أم أن يكون صدق في نسبتها إليه؟

اكتب بحثًا تبين فيه الاحتمالات التي تفسر صدور هذه الرسالة من هذا الصبي، ثم قارن بينها وبين نزول القرآن على النبي الأمي محمد ﷺ.

إثراء تخيلي

نشاط إثرائي

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

هناك آيات ذكرت محاولة المشركين إنكار ربانية مصدر القرآن، وادعاء أنه سحر، أو أنه من كلام البشر، اذكر آيتين منها وبيِّن كيف رد الله سبحانه وتعالى دعواهم مستعينًا بأحد التفاسير العلمية.

عجز البشر أن يأتوا بمثل القرآن:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الدالة على صحة الإسلام، وهو أقوى الأدلة على أن دين الإسلام هو الدين الحق، فلقد تحدى الله البشرية جمعاء، قرنًا بعد قرن، أن من كان يشك في ربانية مصدر القرآن الكريم؛ فليأت بكتاب مثله، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

وقال أيضًا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

- **ماذا** تفهم من الآيات السابقة؟
- **كل** هذه الآيات لها معنى التحدي، لكن ما الفرق بينها؟
- **كيف** تفهم التدرج في التحدي من الإتيان بمثل القرآن إلى الإتيان بسورة مثله؟
- **على** ماذا يدل هذا التحدي؟

الآية الأخيرة فيها تأكيد على عجز الإنس والجن، كيف تفسر هذا التأكيد؟

شهد الواقع على مر التاريخ بصدق الرسول محمد ﷺ وأن القرآن من عند الله تعالى، حيث عجز المشككون بمصدره على أن يأتوا بمثله بعد أن تحدَّاهم القرآن بذلك.

وقد وُجِّه التحدي بداية إلى العرب الذين أنكروا القرآن وناصبوه العداء أن

يأتوا بمثله، فسمعوا مناداته لهم بالتحدي -وهم أهل البلاغة والفصاحة- فلم يجرؤ أحد منهم على قبول التحدي، ثم تدرَّج بالتحدي ليثبت ضعفهم وعجزهم، فطلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله، فلم يستطيعوا، ثم طالبهم بسورة مثل سوره، أو أن يأتوا بمثل أقصر سوره فعجزوا، ثم أطلقها القرآن في وجوههم -استصغارًا لهم واستهانة بهم- أنكم لن تستطيعوا مهما حاولتم، أنتم ومن يأتي بعدكم إلى آخر الزمان، وهذا التحدي بهذه الطريقة يدلُّ بما لا يدع أدنى مجال للشك، أنَّ قائله على علم تام جازم أنهم لن يستطيعوا، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الله جل وعلا.

جاء في كتب السيرة أن أحد مشركي قريش وفصحائها -وهو الوليد بن المغيرة- كان قد سمع القرآن من النبي ﷺ فطلب منه قومه أن يقول فيه قولًا، فأجاب: وماذا أقول؟! فو الله ما فيكم من رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليَعلو وما يُعلى، وإنه ليحطم ما تحته.

نشاط إثرائي

١. ارجع إلى كتب السيرة النبوية وبيِّن حال الوليد بن المغيرة، هل أسلم؟ ولماذا؟

٢. أين تجد في كلام الوليد ووصفه للقرآن الكريم أن مصدره رباني وليس من صنيع البشر؟

٣. كانت هذه القصة سببًا لنزول آيات من القرآن الكريم ما هي؟

الخلو من التناقضات:

هل يوجد كتاب ادعى مؤلفه الكمال والخلو من التقصير أو الأخطاء أو التناقض؟ ولو أن كاتبًا ادَّعى مثل هذا فكيف سيكون رد الناس -عامتهم ومثقفيهم- على مثل هذه الدعوى؟!

من يضع دساتير البلدان والتشريعات والأنظمة؟ كم عددهم؟ وما هي رتبهم العلمية؟ وما هي خبراتهم؟

إنهم يكونون على درجة عالية من التخصص، وبعضهم من الفقهاء الدستوريين كما يقال، ومع هذا فهل يوجد دستور بقي على مر العصور على شكله الأول؛ لم تظهر فيه عيوب، ولم يُعدَّل، ولم يُغيَّر ولم يُصحَّح؟

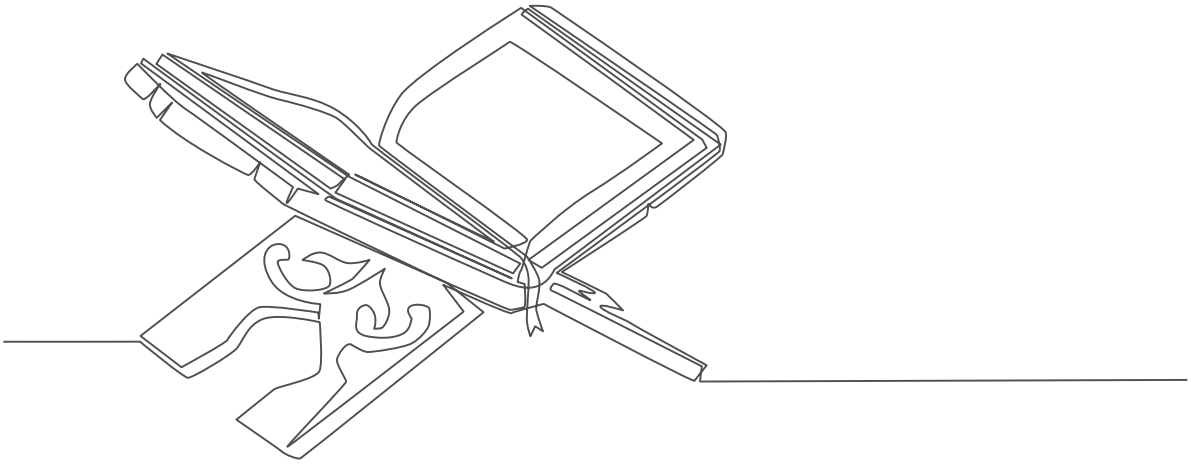

إن الجواب على هذا السؤال بقدر ما هو بسيط وسهل، بقدر ما هو دليل على ربانية مصدر القرآن، فإن الله تعالى وصف القرآن فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

إن أي كتاب أو تشريع أو نظام يحمل صفات واضعه، فإن احتوى الكتاب أو التشريع على أي وجه من أوجه القصور فهذا يعني أن مصدره غير كامل، بل يعتريه النقص والعيب والخطأ، وأما إذا كان الكتاب كاملًا لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا قصور، فلا شك أن مصدره سيكون متصفًا بالكمال المطلق، ومن تدبر القرآن وكماله تيقن أنه من عند الله تعالى الكامل المنزه عن كل عيب ونقص، وأن الإسلام وكتابه حق.

الإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع، وليس كتاب اكتشافات علمية يقرر الحقائق ويبرهن النظريات، ومع ذلك فإن استدلالات القرآن على وجود الخالق، بخلق السموات والأرض وما فيهما من نظام دقيق محكم، صاحَبَها ذِكرُ إشارات إلى بعض من تلك الحقائق العلمية.

إن احتواء القرآن على مثل هذه الحقائق التي جاءت الاكتشافات البشرية بعد قرون – وخصوصًا مع المرحلة المتقدمة من تطور العلم الحديث– لتؤكد صحتها ولتقررها لهو من أكبر الأدلة على صدقه، فقد ذكر هذه الحقائق في زمن كان أقصى مبلغ علم أهله الاهتداء بالنجوم في سيرهم، وحساب السنين بتعاقب الليل والنهار، فلو لم يكن القرآن رباني المصدر لما وجدت ذكرًا لها، ولو افترض بعضهم استخفاف واضعه بعقول الناس يومها لكان العلم الحديث والاكتشافات المتجددة كفيلة ببيان زيف ما أتى به، لكن على العكس من ذلك، فكثير من العلماء –ومن تخصصات مختلفة– أثبتوا الإعجاز العلمي في القرآن، فمثلًا، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا

فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

تأمل هذه الآيات جيدًا، فماذا تفهم منها؟

هل ترى في هذه الآيات إشارة إلى حقيقة علمية في علم التشريح والأجنة؟ ما هي؟

إن لم يكن القرآن من عند الله فكيف عرف محمد ﷺ أطوار نمو الأجنة في أرحام الأمهات وكيف عرف أوصافها؟

كيف يجازف بوصفها بهذا إن لم يكن عن علم، مهدِّدًا دينه الذي يدعو إليه بالانفضاض عنه لو أثبت العلم خلاف تلك الأوصاف؟

ماذا يقول العلم الحديث في هذا الموضوع؟ وكيف توصل العلماء إلى الحقيقة العلمية الثابتة فيه؟ ما الأدوات والآلات التي استعانوا بها للحصول على النتائج؟

إن عرض القرآن الكريم هذه المعلومات بهذه الطريقة المفعمة بالثقة وإظهار العظمة، يكفي للدلالة على صحتها، فكيف وقد أثبت العلم الحديث صحة ترتيب هذه الأطوار ومصداقية وصفها، مما جعل واحدًا من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم (البروفيسور كيث مور الحائز على عدة جوائز في حقل علم التشريح في كندا وغيرها) يقول: "إنَّ أوصاف الأجنة البشرية في القرآن الكريم لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع. الاستنتاج الوحيد المعقول هو أن هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد ﷺ من الله. إذ ما كان له أن يعرف مثل هذه التفاصيل لأنه كان أُمِّيًّا ولم يكن قد نال تدريبًا علميًّا".

ويقول: "وقد اتضح لي أن هذه القضايا يجب أن تكون جاءت إلى محمد من عند الله، لأنه تقريبًا كل هذه المعلومات لم يتم اكتشافها إلا بعد عدة قرون من زمنه، وهذا يثبت أن محمدًا كان رسولًا من الله".

وحين سئل: هل هذا يعني أن القرآن هو كلام الله؟ أجاب البروفيسور كيث مور: "أنا لا أجد صعوبة في قبول ذلك"[1].

وهذا البروفيسور الياباني يوشيهيدي كوزاي الأستاذ في جامعة طوكيو، ومدير مرصد ميتاكا الفلكي الوطني في طوكيو، عندما سمع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]، عند حضوره مؤتمرًا علميًّا للإعجاز القرآني في القاهرة نهض مندهشًا وقال: لم يصل العلم والعلماء إلى هذه الحقيقة إلا منذ عهد قريب، بعد أن التَقَطت كاميرات الأقمار الاصطناعية القوية صورًا و أفلامًا حية تظهر نجمًا و هو يتكون من كتلة كبيرة من الدخان الكثيف القاتم.

١ هذا الاقتباس والذي بعده من محاضرات مصورة منشورة على الانترنت: https://www.youtube.com/watch?v=m4yqg0OiYUg

ثم أردف قائلًا: إن معلوماتنا السابقة قبل هذه الأفلام والصور الحية كانت مبنية على نظريات خاطئة، مفادها أن السماء كانت ضبابًا، وقال: بهذا نكون قد أضفنا إلى معجزات القرآن معجزة جديدة مذهلة، أكدت أن الذي أخبر عنها هو الله الذي خلق الكون قبل مليارات السنين.

ويقول: إنني مندهش جدًّا أن أجد حقائق فلكية صحيحة في القرآن، فالفلكيون المعاصرون ركزوا جهودهم لكي يفهموا جزءًا صغيرًا جدًّا من الكون، لأننا باستخدام التلسكوبات لا نستطيع أن نرى إلا أجزاء صغيرة جدًّا من السماء دون أن نفكر في رؤية الكون كله، ولهذا فإنني أظن أنني أستطيع بعد قراءة القرآن والإجابة على الأسئلة أن أجد طريقي المستقبلي لاستكشاف الكون.

وهناك شهادات لعلماء آخرين في مختلف التخصصات العلمية، تشهد كلها بأن القرآن لا يمكن إلا أن يكون من عند الله الخالق.

وصدق الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

ناقش

هناك عدة آيات ذكرت إشارات إلى حقائق علمية اكتشف العلم الحديث مطابقتها للواقع. ناقش مع أصدقائك بعض هذه الآيات وحاولوا جمعها وتبيين وجه الإعجاز فيها.

لخص ما توصلت إليه في بحث صغير ثم شاركه مع أصدقائك وإخوانك على إحدى وسائل التواصل الاجتماعي.

نشاط إثرائي

١. إعجاز القرآن الكريم لم يقتصر على الحقائق العلمية بل تعداها إلى مجالات أخرى، منها الإخبار عن المغيبات.

اجمع بعض الآيات التي احتوت على الإعجاز الغيبي وحاول أن تشرح معناها مبينًا جهة الإعجاز.

اكتب ملخصًا لنتيجة بحثك وشاركه مع أصدقائك.

٢. ابحث عن شهادات لعلماء في تخصصات علمية متنوعة تشهد بأن القرآن لا يمكن إلا أن يكون من عند الله خالق الكون جلَّ وعلا.

الخلاصة

الأدلة على أن دين الإسلام رباني المصدر كثيرة جدًّا، فمن سلك طريق الخوارق والمعجزات المؤيدة لهذا وجد منها ما تُسَلِّم له ألباب العاقلين، وتخضع له رقاب المناوئين، وتلجم به أفواه المتكبرين، ومن سلك طريق المنطق والاستدلال النظري عرف يقين النبوة والوحي مِن تتبع أحوال الرسول، فكما يقول أبو حامد الغزالي: "فإنك إذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم... فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضروري بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة.

المبررات التي تدفع الباحث عن الدين الحق لاختيار الإسلام دينًا

الإسلام دين يضع الإنسان أمام مسؤولياته، ويحدد له المهمة التي خُلِق لأجلها، وإن أهم سؤال في حياة كل إنسان يؤمن بالله الخالق هو: لماذا خلقني الله عز وجل؟

ماذا يريد مني إذ خلقني، وما المهمة التي يطلب مني إنجازها؟

هل خلقني عبثًا؟ أم خلقني لحكمة؟ وما هي؟

وماذا لو لم أنجزها؟ إلى أين مصيري ونهايتي؟

لقد أجاب الإسلام بوضوح تام عن هذه التساؤلات العظام، فانظر إلى قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هود: ٦١].

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤].

ثم اقرأ قوله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقولـه سـبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

- **ماذا** تفهم من هذه الآيات؟
- **مـا** الحكمـة مـن خلـق اللّٰه سـبحانه وتعالـى الإنسـان؟
- **مـا** المهمـة التـي أوكلهـا اللّٰه تعالـى للإنسـان في الأرض؟
- **لمـاذا** لا يمكـن أن يكـون اللّٰه قـد خلـق الإنسـان عبثًـا؟
- **كيـف** ستكون حـال البشـرية لـو اعتقـد النـاس أنهـم خُلِقـوا لغيـر هـدف؟

خُلِقنا للعبادة:

لقـد احتـوت الآيـات السـابقة علـى الجـواب الشـافي لتلـك الأسـئلة الوجوديـة الكبـرى، وخلاصـة الجـواب أنـه إذا كان لا يُقبَـل مـن عاقـل أن يعمـل عمـلًا بـلا هـدف، فالخالـق العظيـم أجـلُّ مـن أن يخلـق هـذا الكـون عبثًـا.

إن المهمَّـة الجليلـة التـي خلـق اللّٰه الإنسـان لأجلهـا تُختَصـر في كلمـة واحـدة واضحـة، إنهـا العبـادة بمفهومهـا العـام؛ والتـي تشـمل طاعتـه في كل أوامـره والانتهـاء عـن كل مـا نهـى عنـه، هـذه هـي الوظيفـة التـي خلقـك اللّٰه لهـا، ولكـي تعبـده لا بـد أن تتعـرف عليـه، فجعـل لـك في السـماوات والأرض مـن الأدلـة مـا يدلـك عليـه، وأرسـل لـك الرسـل ليُعَرِّفَـك بـه فتطيعـه إذا دعـاك لعبادتـه وحـده سـبحانه وتعالـى.

ومـن أوامـره جـل وعـلا عمـارة الأرض، ونشـر العـدل فيهـا وفـق شـرعه الـذي أمـر بـه، وإقامة الأدلة على الحق، قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ [هـود: ٦١]، فـإن فعـل الإنسـان هـذا كان بمثابـة خليفـة عـن اللّٰه تعالـى في الأرض، قـال تعالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقـرة: ٣٠].

تخيل لو أنك أرسلت طفلك إلى المدرسة ليدرس ويتعلَّم، فإذا به يحيد عن الهدف من إرساله إلى المدرسة ويظنُّ أنك إنما أرسلته من أجل اللهو واللعب، فكيف ستكون النتيجة؟ وهل ستكافئ ولدك أم ستعاقبه؟ قارن بين هذا المثال وبين الوظيفة التي من أجلها خلق الإنسان، ولله المثل الأعلى.

افترض الآن أن هذا الطفل التفت إلى الدراسة ونجح في امتحانه وجاء بشهادة تفوقه، كيف ستكون حاله وحالك من حيث الرضى والسعادة؟

إثراء تخيلي

نموت لنبعث للحساب والجزاء:

تَعلـمُ ويعلـم كل أحـد في هـذه الحيـاة أن عمـره مهمـا طـال محـدود، وأنـه سـينتهي يومًـا مـا بالمصيـر المحتـوم وهـو المـوت، ولا أحـد يسـتطيع إنـكار هـذه الحقيقـة، ولكـن السـؤال: ثـم مـاذا بعـد المـوت؟!

أيعقـل أن تكلـف بمهمـة ثـم لا يكـون لـك علـى إنجازهـا ثـواب، ولا علـى تقصيـرك فيهـا عقـاب؟

مـا الفائـدة مـن التكليـف بهـذه المهمـة إذًا؟ ولمـاذا تنجزهـا أصـلًا؟

ثـم أيعقـل أن ينجـو كل الظالمـين الذيـن أكلـوا أمـوال النـاس أو هتكـوا أعراضهـم أو قتلوهـم دون عقـاب علـى أفعالهـم؟ هـل يليـق هـذا بحكمـة اللّه عـز وجـل؟

لقـد أعطـى الإسـلام الجـواب الشـافي عـن هـذه الأسـئلة، اقـرأ قـول اللّه تعالـى في القـرآن: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامـة: ٣٦].

فـلا يعقـل ألا يحاسـب الإنسـان علـى ظلمـه إن ظلـم، وعدلـه إن عـدل، وصبـره إن صبـر، وطاعتـه إن أطـاع، وعصيانـه إن عصـى، فيسـتوي كل هـؤلاء في الخاتمـة!

لـو خُلِـق الإنسـان سُـدًى وكانـت النهايـة بهـذا الشـكل لانفـرط عقـد التكليـف، وفسـدت المهمـة، وضـاع الهـدف، وزالـت الحكمـة مـن الخلـق، لكنـه ليـس كذلـك، فـإن مـن مقتضـى عـدل الخالـق سـبحانه وتعالـى أن الدنيـا دار تكليـف وابتـلاء وامتحـان، والآخـرة دار جـزاء وحسـاب وقـرار، يثـاب فيهـا المحسـنون علـى إحسـانهم، والصابـرون علـى صبرهـم، ويعاقـب الكافـرون علـى كفرهـم، والمقصـرون علـى تقصيرهـم.

الإنسـان لـه مهمـة خُلِـقَ لهـا، فـإذا عـرف هـذه المهمّـة وأنجزهـا علـى الوجـه المطلـوب منـه سـعد في الدنيـا والآخـرة، وإذا جهلهـا، أو علمهـا لكنـه تعامـى عنهـا أو عمـل علـى خلافهـا شـقي في خاتمتـه، وندم حـين لا ينفعـه النـدم، وكان كمـن وصـف القـرآن حالـه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقـان: ٢٧ - ٢٩].

ارجع إلى كتاب «لماذا أنا مسلم ؟» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن اختبار الأديان ، والبحث عن الدين الحق .

مبررات الالتزام بشريعة الإسلام

مـن النـاس مـن يقـر بـأن الإسـلام يجيـب على الأسـئلة الوجودية الكبرى، لكنـه مع ذلـك يتسـاءل:

لماذا عليَّ الالتزام بشريعته؟

أليس الإنسـان قـادرًا -بعد كل هـذا التقدم والتطـور العلمـي والتقنـي الـذي وصـل إليـه- على سـن القوانين والشـرائع التـي تناسـبه؟

أليـس مـن الأجـدر بالإنسـان ألا يجعـل نفسـه رهـين شـريعة ثابتـة قديمـة جـاءت منـذ أربعـة عشـر قرنًـا بينمـا الكون كلـه يتطـور من حولـه؟

أليسـت الـدول المتقدمـة غيـر الملتزمـة بتعاليـم الإسـلام، تعيـش في اسـتقرار حضـاري وثقـافي ومـادي، بينمـا المسـلمون في ذيـل ركـب الأمم اليـوم؟

هـذه أسـئلة مشـروعة بـلا شـك، ومـن حـق مـن يسـألها أن يجـد الجـواب الـذي يؤكـد على ضـرورة الانتمـاء للإسـلام، لكنَّ هذا لا يمنع أن في بعضهـا شـيئًا مـن المغالطـات، كمـا سـيأتي في الـرد عليهـا.

اقـرأ قـول الله تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفـال: ٢٤].

وقولـه سـبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملـك: ١٤].

- **ماذا** تفهم من الآيتين السابقتين؟
- **إلى** ماذا يدعونا الرسول المبلِّغ عن الله سبحانه؟
- **وما** الموقف المطلوب منا تجاه هذه الدعوة؟
- **لماذا** علينا الاستجابة إلى تلك الدعوة؟ وما الذي يؤكد لنا أنها دعوة للحياة المستقيمة حقًّا؟

دليل الاستخدام والصيانة لا يكون إلا من الصانع:

أنت مؤمن بالله تعالى خالقًا لك ولهذا الكون، وأنك خلقت لمهمة جليلة ولم تُخلق عبثًا، وأن الله سبحانه أرسل محمدًا ﷺ لهدايتك إليه وليعرفك على تلك المهمة، وأرسل معه قرآنًا فيه منهج وشريعة ترسم لك الطريق الذي ينبغي لك أن تسير عليه لتؤدي مهمتك على أكمل وجه، فهل يستقيم لإنسان أن يترك ذلك المنهج، ويركن إلى مخلوقين مثله تميزوا بعقل وعلم آتاهم الله إياه، فظنوا أنفسهم أقدر على سن القوانين والشرائع ممن خلقهم؟!

تخيل أنك اشتريت سيارة جديدة من مصنعها، وقبل أن تغادر جاء البائع وأعطاك كُتيِّبًا صغيرًا فيه دليل استخدام السيارة وصيانتها، وقرأت فيه أنه يجب عليك أن تغير زيت المحرك إذا سارت السيارة مسافة (٥٠٠٠ كم) وإلا تعرض المحرك للتلف، لكن أحد العاملين في مجال صيانة السيارات من خارج المصنع أخبرك أنه لا بأس إن تجاوزت المسافة إلى (٨٠٠٠كم) قبل تغيير زيت المحرك قياسًا على سيارات أخرى فأخذت بنصيحته، وبعد تجاوزك مسافة الـ (٥٠٠٠كم) لم تلاحظ أن شيئًا تغير، هل هذا يعني أن الصانع كان مخطئًا وأن العامل أعلم ممن صنع وأكثر خبرة منه؟

ما الذي يدريك أن فعلك هذا لم يؤثر على المحرك بالفعل لكنك لم تلاحظ أثره مباشرة؟ ماذا لو ظهر أثره بتآكل قطع المحرك بعد مدة من الزمن؟ على من ستلقي باللائمة؟ على المصنع أم على العامل أم على نفسك؟

إن من المسلَّمات أن الصانع يعلم صَنْعته، ويضع لها من تعليمات التشغيل والصيانة ما يضمن لها سلامة الأداء وأمن الاستعمال، فإذا استعملْتَ الآلة حَسبَ تعليمات صانعها أدَّتْ مهمتها بدقة، وسلمت من الأعطال، أفلا يكون مسلَّمًا أيضًا أن من خلق الإنسان أعلم بما يُصلحه وما يصلح له، فيقول له: افعل كذا ولا تفعل كذا، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

يقول أحد علماء المسلمين: "آفة الناس في الدنيا أنهم وهم صَنْعة الحق سبحانه يتركون قانونه، ويأخذون قانون صيانتهم من أمثالهم، وهي قوانين وضعية قاصرة لا تسمو بحال من الأحوال إلى قانون الحق سبحانه، بل لا وَجْهَ للمقارنة بينهما. إذن: لا تستقيم الحياة إلا بمنهج الله عَزَّ وَجَلَّ.

مهما تقدم الإنسان في العلم والتقنية فلن يحيط بعلم الخالق سبحانه، بل لن يحيط جميع الخلق بشيء من علمه إلا بما شاء، لذا كان اتباع الطريق -وأقصد هنا شريعة الإسلام- الذي رسمه الله تعالى لنا في السير لأداء المهمة التي خلقنا لأجلها وكلفنا بإنجازها هو عين الصواب، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه: ١٢٣].

شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان:

وهذا يقودنا إلى الإجابة عن مغالطة في قولهم: إن الإسلام شريعة ثابتة والكون يتحرك ويتطور من حولنا؛ فهذه المقولة صادرة عن جهل بشريعة الإسلام، ولربما لم ينظر قائلها في قرآن ولا سنة ولا كتب فقه، وإنما قالها قياسًا على سائر الشرائع السابقة والتي نُسِخَت بشريعة الإسلام.

نعم إن الشريعة الإسلامية ثابتة، بمعنى أن الأحكام التي ثبتت بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لا يمكن تبديلها، أو تحريفها؛ إذ إنّها ربَّانيةٌ لا يُقبَل من أحدٍ خلافها، ولكن مع هذا فإن المتعمِّق في دراسة الشريعة الإسلامية يدرك تمامًا أن من أكبر صفاتها وخصائصها أنها صالحة لكل زمان ومكان، وهذا لا يمكن أن يتأتى منها إذا كانت متصفة بالجمود، فهي مع كونها ثابتة لا تبديل لها، إلَّا أنّها شريعةٌ مَرِنةٌ تُحقِّق مصلحة الأفراد والأمم مهما اختلفت أحوالهم وظروفهم، ومما يدل على ذلك:

١. أن الشريعة الإسلامية أتت في بعض الأبواب بأحكام عامة، دون أن تتعرض للتفاصيل والجزئيات، ليسترشد أهل العلم بالأحكام العامة لاستخراج أحكام تفصيلية تناسب مكانهم وزمانهم على مر العصور، بما يُحقق المصلحة العامة، كما في أحكام القضاء، والسياسة الشرعية، وغيرها.

٢. أن من قواعد الشريعة الإسلامية تغيُّر الفتوى المستندة إلى العرف بتغيِّر الحال، والزمان، والمكان.

٣. أن الشريعة الإسلامية تهتم بجلب المصالح ودرء المفاسد.

٤. أن الشريعة الإسلامية مبنية على مبدأ اليسر ورفع الحرج، يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وإن وجد المُكلَّف حرجًا في تطبيق الأحكام، فقد جعلت له الشريعة رخصةً إمّا بالتخفيف أو بالإسقاط.

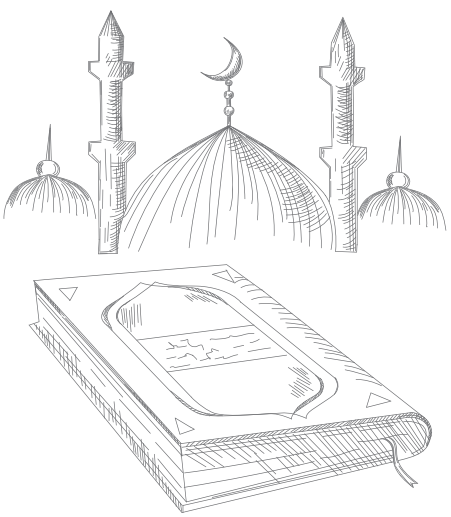

نشاط

للشريعة الإسلامية العديد من الخصائص التي ذكرها العلماء، اجمع هذه الخصائص واشرحها بشكل مختصر، واكتبها في بحث صغير وشاركه مع زملائك.

يمكنك الاستعانة بكتاب "خصائص الشريعة الإسلامية" للمؤلف عمر سليمان الأشقر، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية.

الإسلام يضمن الحلول لمشاكل العالم:

أما كون الدول المتقدمة غير الملتزمة بتعاليم الإسلام، تعيش في استقرار حضاري وثقافي ومادي، فهذه مغالطة، ولعل من قالها انبهر بتلك الحضارة المتقدمة لرؤيته جانبًا منها يشع منه نور خطف بصره عن رؤية سائر الجوانب، ولو أنعم النظر في الجوانب الأخرى لغيَّر رأيه فيما يقول؛ ولظهرت له المشاكل الخطيرة والمهلكة التي تعصف بهذه البلدان، ومن أهمها: العنصرية، وإدمان الكحول، والاغتصاب، والتحرش الجنسي، والفواحش، والإيدز وغيره من الأمراض الجنسية، والحياة الأسرية المفككة، وارتفاع معدلات الجريمة والانتحار، وهذا يعني أن تشريعات هذه الدول قد فشلت فشلاً ذريعًا في حل هذه المشكلات.

وعلى الطرف الآخر تجد أن الإسلام استطاع حل هذه المشاكل حلًّا جذريًّا، كيف لا وهو الدين الحق الذي هو من عند الخالق العليم؟!

فالعنصرية على سبيل المثال -والتي هي شكل من أشكال التكبر- هدمها الإسلام بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

وكان مما قاله النبي ﷺ في خطبة الوداع: "يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكمْ واحِدٌ، وإن أباكم واحد، ألا لا فضلَ لِعربيٍّ على عجَميٍّ ولا لِعجَميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسْودَ ولا أسودَ على أحمرَ إلَّا بالتَّقوَى". (رواه أحمد برقم ٢٣٤٨٩).

كيف تفهم الآية والحديث في ضوء ما سبق؟

ما معيار التفاضل في الشريعة الإسلامية؟

ما الهدف من تنوع الشعوب والقبائل؟

على ماذا يدل كون الخالق للبشر جميعًا واحدًا، وكون أبيهم الذي ينتسبون إليه واحدًا؟

ما أثر تنوع ألوان البشرة وتنوع اللغات والألسنة على التفاضل بين البشر في الإسلام؟

تفكّر

هـا أنـت تشـاهد -كمـا يشـاهد كل العالـم- مئـات آلاف الحجيـج في مكـة المكرمـة كل عـام، فـلا تفـرق بينهـم، تجدهـم مـن كل الأجنـاس والأعـراق والبـلاد، لا يتفاضـل بعضهـم علـى بعـض.

فما الذي جعلهم كذلك؟ أليست شريعة الإسلام؟!

مثال لمعالجة الإسلام لمشكلة الإدمان:

ومثـال آخر يؤكد قدرة الإسـلام -وحده- على إيجاد الحلول لجميع المشاكل التي تعصف بالعالم، لأن مصدره الخالق العليم الخبير الذي خلق هذا الإنسان ويعلم ما يصلح له وما يصلحه، وعجز الدول المتقدمة عن ذلك وهي مشكلة "إدمان الكحول"، وفيما يلي معلومات من تقارير منظمة الصحة العالمية حول هذه المشكلة المعضلة، توضح سبب المشكلة، وبعضًا من آثارها، وكيف حاولت هذه الدول معالجتها:

١. استنادًا إلى د. ماريستيلا مونتييرو، وهي مستشارة عليا في ميدان معاقرة الكحول والمواد في منظّمة الصحة لكلّ أمريكا، فإنّ الحصول السهل على الكحول يساهم في زيادة الشرب في مناطق عديدة من أمريكا اللاتينية؛ "السعر المُنخفِض، وزيادة الإتاحيّة، والقيود القليلة جدًّا على الكحول، كلّها تُعتَبر من الأسباب التي تُعَلِّل الاستهلاك العالي بين الشباب؛ لذا فمن غير المُدهِش وجود ارتباطٍ بين الشباب والعنف في هذه المنطقة".

٢. يُقَدّر أنّ الاستخدام الضارّ للكحول يقتل ٢,٥ مليون شخص سنويًّا، بينهم ٣٢٠ ألفًا من الشبّان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٩ سنة.

٣. أظهر بحثٌ أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٣ أنَّ نحو ٥٠٠٠ شابٍّ تحت ٢١ عامًا من العمر يموتون سنويًّا من جرَّاء الإصابات المُرتبطة بالكحول.

٤. يُعَدّ الكحول متورِّطًا في ربع جرائم القتل على الصعيد العالمي.

٥. فيما يتعلق بالجهود المجتمعية لمكافحة الكحول، واستنادًا إلى البروفيسور مارك بيليس، مدير مركز الصحة العمومية في جامعة جون موريس بمدينة ليفربول في المملكة المتحدة: "تتميَّز التدخّلات المجتمعية المُستندة على التدابير الطوعيّة بقصورها، نتيجة رغبة الصناعة بزيادة أرباحها" (المرجع: مجلة منظمة الصحة العالمية المجلد ٨٨).

بحسب ما ورد في هذه التقارير، ما سبب انتشار ظاهرة الإدمان في الدول المتقدمة؟

ما الآثار السلبية للإدمان؟

ما الخطوات العملية التي اتخذتها هذه الدول أمام هذه الظاهرة لتفادي آثارها السلبية؟

ما المشكلة التي واجهت هذه الدول في سن قوانين تحظر تعاطي الكحول؟

واضح تمامًا عجز هذه الدول بكل ما وصلت إليه من تمدن وحضارة وتقنية عن معالجة هذه المشكلة المعضلة، لأن أساسيات نشوء هذه الدول قائم أصلًا على الحرية الشخصية، والرأسمالية الربحية، وكلا هذين الأمرين من أهم أسباب انتشار إدمان الكحول والعجز عن معالجته.

وفي الوقت الذي تخبطت فيه هذه الدول في معالجة هذه الظاهرة نرى تفوق الإسلام في معالجتها، فقد جاء الإسلام إلى قوم كان الإدمان على شرب الخمر شعارهم، فلم يلبث إلا قليلًا حتى صارت الخمر عدوهم.

اقرأ الآيات الآتية بتفكر وتدبر واستنتج الطريقة التي سلكها الإسلام في علاج مشكلة تعاطي الخمر:

قال الله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧].

وقال سبحانه: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة:٢١٩]

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

- **ماذا** تفهم من الآيات السابقة؟
- **لماذا** وصف الله سبحانه وتعالى الثمرات في الآية الأولى بالرزق الحسن ولم يصف السُّكْر بذلك؟
- بماذا يُشعر وصف الخمر بأن فيها إثمًا كبيرًا ؟
- **كيف** تفسر نهي الله سبحانه عباده عن السُّكْر في أوقات الصلوات؟
- **علِّل** أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين باجتناب الخمر؟
- **كيف** كان جواب الصحابة رضوان الله عليهم على قوله: فهل أنتم منتهون؟

إن الجواب عن هذه الأسئلة يمثل منهجًا ربانيًّا بديعًا، في علاج ظاهرة اجتماعية خطيرة، يستغلها الشيطان لإثارة العداوة والبغضاء والفتن بين الناس، فالإسلام أخذ بعين الاعتبار شدة تعلق شارب الخمر بمشروبه، فتدرج في تشريع تحريمها؛ فأشار أولًا إلى أن الخمر لا تحوي من الحسن ما تحويه الثمرات من الرزق، ثم ذكر لهم أن فيها إثمًا كبيرًا لينفرهم منها، ثم طلب منهم الابتعاد عنها أوقات الصلوات أي طوال النهار، وكانوا أهل عمل وجِدٍّ، ينامون بُعيد العشاء غالبًا، فبعد أن كان شربها عادة أصبح مقصودًا يُسهر له، فتقللوا منها، حتى إذا انقادوا لهذا نزل التحريم النهائي، فكان جوابهم: انتهينا يا رب، فأراقوها حتى جرت في الطرقات، وكان تحريمًا أبديًّا إلى يومنا هذا.

ناقش

للخمر آثار سلبية على الفرد والمجتمع، حاول جمع هذه الآثار واكتبها في بحث صغير وشاركه مع زملائك.

الإسلام هو الدين الأسرع انتشارًا بين الناس:

تبقى مغالطة لا بد من كشفها، وهي ما يتعلق بتأخر المسلمين عن ركب الحضارة اليوم.

فالسؤال هو: هل تخلفوا بسبب تمسكهم بشريعة الإسلام أم العكس؟!

لقد بُعِث النبي ﷺ في العرب، ولم يكونوا يومها في ذيل ركب الحضارة فحسب، بل كانوا لا يؤبه لهم ولا تقيم لهم بقية الأمم أي وزن، فإذا بهذه الأمة الأمية المتخلفة حضاريًّا، تنشئ أعظم حضارة مادية وروحية عرفها التاريخ في مدة قصيرة جدًّا من عمر الزمن، فما الذي تغير وما الذي غير حالهم؟

كل منصف سيقول: لا شك أنه الإسلام، فإنهم عندما تمسكوا بالإسلام عقيدة وشريعة، صار لهم شأن، وصاروا قادة الأمم، وصارت أمة الإسلام في مقدمة الركب.

وأما اليوم فالعكس هو الصحيح، فإن أمة الإسلام تعاني من ابتعاد كثير من أبنائها ودولها عن شريعة الإسلام في كثير من المجالات، ولا سبيل لهذه الأمة للعودة مجددًا إلى المقدمة إلا بالعودة لدين ربها.

نعم، إن معظم الدول الإسلامية تصنف اليوم من البلدان الفقيرة أو الأشد فقرًا، لكن هذا ليس بسبب الإسلام، بل بسبب البعد عن تعاليمه.

على أن في حال المسلمين هذه معجزة أخرى تشهد أن الإسلام هو الدين الحق، وهذا يزيد من أهمية الانتماء إليه.

انظر حولك وحاول حصر التلفزيونات والقنوات الفضائية، والمدارس، والكتب والصحف والمجلات والأفلام، التي تستخدم بكثافة لتشويه الإسلام والافتراء عليه، وتأمل في حجم الحملات المنظمة التي تصف الإسلام بأنه دين العنف والإرهاب والاضطهاد، ثم تفكر بعد هذا كله:

لماذا بقي الإسلام صامدًا في وجه كل هذه الحملات رغم ضعف أهله وفقرهم وتخلفهم عن ركب الحضارة؟

بل لماذا يزداد انتشار الإسلام ويكسب كل يوم مسلمين جددًا وأرضًا جديدة؟ أليس المنطق أن يحصل العكس؟!

إن هذا الواقع -مع مرارته- يشهد للإسلام بأنه دين الحق، فلو وجهت معشار هذه الحملات إلى ثقافة أو حضارة أو دين غير الإسلام لانهدم رأسًا على عقب، لكن الإحصائيات تشير إلى أن الناس -بالرغم من كل شيء- يُقبِلون عليه ولا ينفرون منه، وما ذلك إلا لأنه يوافق فطرتهم، ويمتاز باليسر والوسطية والاعتدال.

خلاصة

لعل من أبلغ القول في هذا الموضوع بشارة النبي ﷺ حين قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يُعِزُّ الله به الإسلام، وذُلًّا يُذِلُّ الله به الكفر» (رواه أحمد برقم ١٦٩٥٧ وصححه الحاكم والألباني).

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

١. من المقومات التي تجعل الإسلام دين الحق:

أ. أمية الرسول

ب. أنه رباني المصدر

ج. يجيب عن الأسئلة الوجودية الكبرى

د. مؤيد بالمعجزة الخالدة

هـ. كل ما سبق صحيح

٢. الإسلام عالج مشكلة العنصرية:

أ. بتحريمه تكبر الناس بعضهم على بعض.

ب. بجعل أساس المفاضلة بين الناس تقوى الله والقرب منه.

ج. بتقرير أن البشر يرجعون لأب واحد فهم متساوون في الأصل.

د. كل ما سبق صحيح.

٢ علِّل تدرج القرآن الكريم في تحديه للمشركين بأن يأتوا بمثله.

٣ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من الأدلة القوية على أنه من عند الله، اذكر قولًا لأحد العلماء الغربيين يؤكد هذا الإعجاز.

٤ ما المبررات التي تدفع الباحث عن الدين الحق لاختيار الإسلام دينًا؟

٥ قارن بين شريعة الإسلام وبين دساتير الدول من حيث المصدر ومن حيث التبديل والتغيير.

٦ ما وجه المغالطة في قولهم: إن أتباع دين الإسلام هم من الدول النامية والمتخلفة، كدليل على عدم صحة دين الإسلام؟

٧ اذكر الأدلة التي تدل على أن الإسلام رباني المصدر.

٨ كيف عالج الإسلام مشكلة الإدمان على الخمر؟ علِّل فشل الأنظمة الحديثة في ذلك.

٩ علِّل صمود الإسلام في وجه حملات تشويهه والافتراء عليه.

١٠ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. تفيد الإحصاءات والدراسات أن الإسلام أسرع الديانات انتشارًا في العالم اليوم.

٢. من أسباب انتشار ظاهرة إدمان الكحول في البلاد المتقدمة الحرية الشخصية، والرأسمالية الربحية.

٣. الشريعة الإسلامية لا تراعي جانب المصالح والمفاسد.

٤. التكليف بلا حساب وجزاء من الحكمة.

واجبات المسلم تجاه دينه

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على واجبات المسلم مع نفسه.
- يتعرف على واجبات المسلم مع مجتمعه.
- يتعرف على واجب المسلم في المحافظة على صورة الإسلام المشرقة.
- يتعرف على واجب المسلم في الدعوة إلى الله.

واجبات المسلم الشخصية

الانتماء الحقيقي يرتب على صاحبه مجموعة من الالتزامات والواجبات، ونحن نرى هذا حتى عند مشجعي الفرق الرياضية، حيث تجد الواحد منهم يبذل وقته وقلمه ولسانه في الدعاية لفريقه، ونشر محاسنه، والدفاع عنه في وجه من يقلل من شأنه، بل يصل الأمر ببعضهم إلى حدِّ الولاء والبراء؛ فيحب من يحب فريقَه، ويبغض ويعادي من لا يحبه!

فإذا كان هذا يكون من هؤلاء المنتمين في مجال اللهو واللعب، فماذا يرتِّب الانتماء للإسلام على صاحبه من التزامات وواجبات؟

وكيف يمكنه أن يؤدي التزاماته تجاه انتمائه للإسلام برغم المشقة والعناء؟

الإسلام يوجب على الفرد بناء نفسه:

أول ما يُسأَل الإنسان عن نفسه، وأول ما يطالبك به الإسلام أن تلتفت لنفسك فترعاها؛ فإنك إن وجدت نفسك وعملت على بنائها استطعت بعدها أن تبني غيرك، وأما إن أضعت نفسك فقد أضعت من يلوذ بك ويعتمد عليك، ولو تمعنت في القرآن الكريم لوجدته يؤكد على المسؤولية الفردية كثيرًا، اقرأ الآيات والحديث الآتي بتفكر وتدبر:

قال الله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٥].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

وقال أيضًا: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥].

وعن الصحابي الجليل أبي برزة الأسلمي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه".

[رواه الترمذي برقم ٢٤١٧ وصححه].

- **ماذا** تفهم من النصوص السابقة؟
- **لماذا** يحاسَب الإنسان يوم القيامة عن عمله خاصة؟
- **عمَّ** سيُسأل الإنسان يوم القيامة؟
- **ماذا** يعني أن يحاسَب الإنسان على وقته وعلمه وماله وجسمه؟

إن الإنسان مفطور في ترتيب أولوياته على تقديم نفسه، فجاء الإسلام -وهو دين الفطرة- بما يوافق هذا الترتيب، فأكد على أن أول ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة النِّعم التي وهبها الله سبحانه وتعالى له في الدنيا، والتي هي مقومات لبناء نفسه، فالعمر والعلم والمال وصحة الجسد ما هي إلا رأس مال للإنسان، وهبه الله إياه ليبدأ تجارته في هذه الحياة، ثم يوم القيامة سيتقدم بكشوف حسابات لهذه التجارة، فإما رابح سعيد وإما خاسر شقي.

يقول الله تعالى في مدح المؤمنين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

كيف تفهم هذه الآية في ضوء ما سبق؟

هل ترى أن الإسلام حين أقر المسؤولية الفردية يرسخ مفهوم الأنانية وحب الذات؟ ولماذا؟

ابحث في القرآن الكريم عن الآيات التي وردت في تقرير المسؤولية الفردية غير ما ذُكِر وبين معناها.

إثراء

إنَّ لهذه المسؤولية الملقاة على عاتق الفرد المسلم جوانب مختلفة: جانب علمي، وجانب عبادي، وجانب أخلاقي.

أولًا: الجانب العلمي

لا بد أن تبدأ بالعلم لتكون على بينة في كل أمورك، فلن تتعرف على أركان الإسلام إلا بالعلم، ولن تقيم العبادات التي تكوِّن شخصيتك الإسلامية التي تميزك عن غيرك إلا بالعلم، ولن تغذي عقلك وتبني الوعي الذي يهيئك لأداء المهمة التي خلقك الله لأجلها واستخلفك في الأرض للقيام بها، وهي عمارة الأرض إلا بالعلم، فمن هنا رتب الإسلام على الفرد المنتمي إليه مسؤولية التعلم.

اقرأ الآيات الآتية بتدبر وتفكر:

قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان؛ أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (رواه الترمذي برقم ٢٦٨٥ وصححه).

- **ماذا** تفهم من النصوص السابقة؟
- **كيف** تُقيِّم نظر الإسلام إلى العلم والعلماء؟
- **ما** أثر العلم على علاقة الإنسان بربه؟

كيف فاضل النبي ﷺ بين العالِم وغير العالِم ولو كان عابدًا؟ ولماذا؟

للعلم مكانة عالية في الإسلام، ولذلك رفع رتبة العلماء وفضَّلهم على غيرهم، وكلما ازداد المسلم علمًا بخالقه ازداد خشية له وارتفع درجة في دينه، ومن هنا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يسأله الازدياد في العلم.

والعلم الذي يحمِّل الإسلامُ أفرادَه مسؤولية تحصيله ينقسم إلى قسمين: علم شرعي وعلم دنيوي.

العلم الشرعي:

حضَّ الإسلام على تحصيل العلم الشرعي، لأنَّ به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» [رواه البخاري برقم ٧١]، وقال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» [رواه البخاري برقم ٥٠٢٧].

وقد سبق أن العقل يقود الإنسان إلى الإيمان بالله الخالق الواحد، ثم يقف العقل على باب العلم ينتظر بيانًا، لأنه لا يعلم الغيب ولا يعلم كل شيء، وطريق العلم في أصول الاعتقاد هي الأخبار، أي ما أخبر الله سبحانه به عباده، وكذا ما ورد عن النبي ﷺ، وهذا يحتم على كل مسلم واجب طلب العلم الضروري الذي يصحح اعتقاده بربه؛ فيتعلم صفات الله وأسمائه التي سمَّى بها نفسه فلا يتعداها ولا ينسب لربه ما لم ينسبه الله لنفسه، ولا ينفي عنه ما أثبته لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

فالعلم الشرعي يحصن عقيدة المسلم من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ودعاة السوء، فلا تؤثر الفتن في يقينه ولا يحيد عن دينه.

وأما العبادات فأهمية العلم تظهر من كونه يصحح للمرء عبادته، فإن هذه العبادات لها شروط وأركان وواجبات وسنن وهيئات لا تصح إلا بها؛ فيتوجب على المسلم أن يلم بالعلم الضروري الذي تصح به هذه العبادات، فلا يصح عمل بلا علم، لأن من جهل كيفية الصلاة لا يستطيع أن يصلي، وإن صلَّى كيف شاء وقعت صلاته باطلة لا قيمة لها، وهكذا في بقية العبادات.

وقد قال سبحانه مشيرًا إلى أسبقية العلم على العمل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[محمد: ١٩]، فقدم العلم على العمل، وهو هنا الاستغفار.

ثم إن كان المرء من ذوي الهمم العالية والحافظة الوقادة، فليبذل جهده ووقته للاستزادة من العلم الشرعي حتى يكون عالمًا يُرجَع إليه؛ نزولًا عند وصية الله سبحانه: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [التوبة: ١٢٢]، ولينال بشرى النبي ﷺ حين قال: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في الماء» [رواه الترمذي برقم ٢٦٨٢ وصححه الألباني].

العلم الدنيوي:

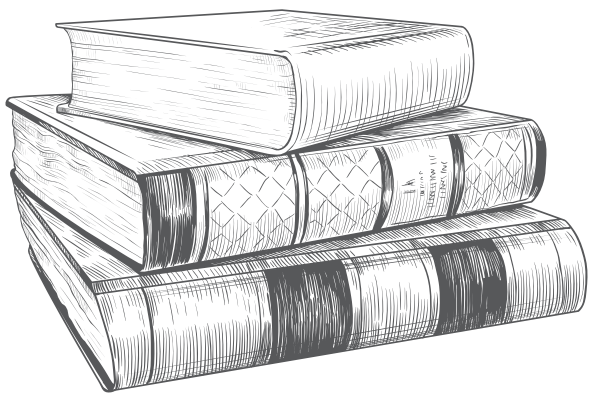

إذا علمت أمور دينك، وأديت فروضك بالطريقة الصحيحة، فعليك الالتفات إلى اختيار سلاح تتسلح به في هذه الحياة، سلاح تحارب به الصعوبات، ويتيح لك دورًا تساهم به في إنجاز المهمة الأسمى بإعمار الأرض، فلن تعمر الأرض بغير العلم، فبه -بإذن الله- يمكنك تغيير كل شيء؛ ظلمة الجهل إلى نور العلم، التخلف إلى التقدم، الفقر إلى الغنى، المرض إلى الصحة، كما قال أحدهم: «التعليم هو السلاح الأقوى الذي يمكنك استخدامه لتغيير العالم».

فمن المسؤوليات التي يلقيها الإسلام على كاهل أفراده المنتمين إليه إعداد القوة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وأول أسباب القوة العلم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فمن الواجب عليك أن تجتهد في طلب العلم الدنيوي وتتفوق فيه ليكون بين المسلمين المهندس المسلم، والطبيب المسلم، والصيدلي المسلم، والمحاسب المسلم، والمخترع المسلم، وصاحب الصنعة المسلم، وليتخصص كل فرد في مجال وليبرع فيه لتتكامل التخصصات، وليعمل كل مسلم بما علم، ولنصل إلى المجتمع الصالح المكتفي بأفراده.

وقد نبَّه النبي ﷺ على هذا التنوع في التخصصات، فقال مشيرًا إلى تخصص

بعض الصحابة ببعض العلوم: «أرأف أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأقرأهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت» [رواه الترمذي برقم: ١٥٤، وصححه].

وبإمكانك الرجوع إلى كتاب "كيف أتعلم الإسلام؟" من هذه السلسلة، لتعرف أهمية العلم بشقيه الدنيوي والشرعي، وأثره على حياتك وآخرتك.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٠].

- **ما الصنعة التي علمها الله تعالى داودَ عليه السلام؟**
- **كان داود عليه السلام ملكًا وخليفة في الأرض فلماذا علمه الله هذه الصنعة؟**
- **ماذا تفهم من كون نبي من الأنبياء خليفة وحاكمًا وعالمًا بصنعة؟**
- **تخيل لو اكتفى كل مسلم بالعلم الشرعي وبالعبادة وأهمل العلم الدنيوي، كيف ستكون حال المسلمين؟ ناقش هذه القضية مع أصدقائك موضحًا أثر العلم في بناء الأمم.**

ناقش

ثانيًا: الجانب العبادي

سبق أن علمت أن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله سبحانه، فأول المسؤوليات الفردية في الإسلام هي أداء هذه المهمة بتقديم الطاعة في المجال العبادي، وتتمثل في أداء الفروض واجتناب النواهي والمحرمات، فأما أداء الفروض -والتي تمثل أركان ودعائم الإسلام- فاقرأ فيها هذا الحديث النبوي بتدبر وتأمل:

عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإسلام بني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت»

[رواه البخاري برقم ٨، ومسلم برقم ١٦ واللفظ لمسلم].

- **ماذا** تفهم من الحديث السابق؟
- **ما** هي العبادات الأساسية المفروضة على الفرد في الإسلام؟
- **كيف** تفهم ترتيب هذه العبادات كما ورد في الحديث من حيث الأهمية؟

شهادة التوحيد:

لديك الآن في ترتيب الأولويات: أولًا بناء نفسك، وأول ما تبدأ به في بناء نفسك هو بناء علاقتها مع خالقها، وأولى ما تبدأ به في تنظيم هذه العلاقة العلم بما لك وما عليك، ثم أداء ما فُرِض عليك وهي خمس عبادات محددة منضبطة، وأولها وأهمها الإعلان عن إيمانك بالله إلهًا خالقًا واحدًا لا شريك له، والإعلان عن إيمانك بمحمد ﷺ رسولًا مبلِّغًا عن هذا الإله، فتأخذ عنه تعاليم دينك من أوامر ونواهي، ويكون إعلانك عن الإيمان بالنطق بالشهادتين اللتين هما أصل الإسلام.

ناقش

جاء في الحديث أن ركن الإسلام الأول: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

- هما شهادتان، فلماذا عدهما النبي ﷺ ركنًا واحدًا؟
- لماذا لا يكون مؤمنًا من اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق بالشهادتين؟

الصلاة:

- لماذا جاءت الصلاة في المرتبة الثانية بعد النطق بالشهادتين؟
- ما السر الذي يجعل لها هذه الأهمية؟

تدبر الآيات الكريمة التالية:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤].

وقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤].

لعل الصورة تبدو واضحة الآن، فقد كان أول أمر من الله عز وجل لكليمه موسى عليه السلام بعد أن عرفه بنفسه أن أمره بعبادته وإقامة الصلاة، والغاية من ذلك هي ذكر الله والصلة به جل وعلا، وبهذه الصلة يستدرك المرء النسيان والخطأ، وفتور الهمة والتقصير، فتنير له الصلاة طريقه وتظهر أمامه العقبات ولا تلتبس عليه؛ فيجتنبها، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فإن وقع وتعثر كان هذا الاتصال جابرًا للكسر مقيلًا للعثرات، والصلاة حسنةٌ، والحسنات يذهبن السيئات.

نشاط

اكتب بحثًا تلخص فيه كيفية الصلاة؛ شروطها وأركانها وواجباتها وسننها ثم شاركه مع زملائك.

الزكاة:

أما الفريضة الثالثة فهي الزكاة، وإذا رجعت إلى القرآن الكريم رأيت أن الله تعالى قلما يذكر الأمر بالصلاة إلا ويذكر معه الأمر بالزكاة، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٣].

وقوله أيضًا: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ [البقرة: ٢٧٧].

اقرأ الآيات السابقة بتأمل وتدبر:

- ماذا تفهم منها؟
- على ماذا يدل ذكر الأمر بإيتاء الزكاة بعد الأمر بالصلاة؟
- ما الحكمة من فرض الزكاة؟

يتضح من ذكر الزكاة بعد الصلاة في الآيات السابقة أنها تحتل المرتبة الثالثة في العبادات الفردية التي فرضها الله تعالى على عباده، وهي عبادة مالية قائمة على إخراج الغنيِّ مقدارًا من ماله وبذله لمستحقيه.

ومعلوم أن المال محبوب للنفوس، والمحبوب لا يُبذَل إلا ابتغاء محبوب أكثر منه، وقد سماها الله تعالى صدقة، قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وبيَّن النبي ﷺ أنها برهان على صدق الإيمان، وصدق طلب رضا الله عز وجل، كما في الحديث: «والصدقة برهان». [رواه مسلم برقم ٢٢٣].

إن الالتزام بشرائع الإسلام يمكن أن يكون شديدًا على النفس، وخصوصًا إن كانت ألِفَت الراحة والدَّعَة ، ارجع إلى كتاب «حياة جديدة» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن كيفية التمسك بالدين .

نشاط

١. ذكر العلماء حِكَمًا كثيرة لفرض الزكاة على المسلم الغني، لخِّصها في بحث صغير وشاركه مع أصدقائك.

٢. هناك صدقات غير مفروضة بل هي نافلة: ابحث عنها وعن حكمة تشريعها.

الصيام:

وصلنا إلى الركن الرابع، صوم شهر رمضان.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما الحكمة من تشريع الصيام؟

لاحظ معي أن ما مر ذكره من العبادات الثلاث السابقة هي أفعال يقوم بها الإنسان، أما الصوم -ومعناه الإمساك والامتناع- فقائم على الترك، يترك المسلم ما أباحه الله تعالى له من طعام وشراب وجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهذا الامتناع عن المباح تدريب يقوِّي به نفسَه وعزيمتَه؛ ليقف في وجه شهوته إذا دعته إلى ما نهى الله عنه، فيمتنع عن الوقوع فيه.

فالصيام كالدرع الذي يتدرع به المسلم ليحميه من هذه الشهوات، كما قال النبي ﷺ: «الصيام جُنَّة»، [رواه البخاري برقم ١٨٩٤]، أي سِتر يستتر به المسلم من طغيان شهواته عليه.

نشاط

١. أشارت دراسات عدة إلى أن للصوم فوائدَ صحيةً ونفسيةً كثيرة، ابحث في الإنترنت عن هذه الفوائد ولخِّصها، وناقشها مع أصدقائك.

٢. هناك صيام مسنون، ابحث عنه واشرحه واذكر الحكمة من تشريعه.

الحج:

آخر الأركان الإسلامية المفروضة على المسلم المستطيع، هو الحج إلى بيت الله الحرام، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

- ماذا تفهم من هذه الآية؟
- ما هو شرط فرض الحج على المسلم كما فهمت من الآية؟

الحج هو قصد بيت الله الحرام في مكة المكرمة في أشهر الحج لأداء مناسكه، وهذا الفرض قد لا يستطيعه كل أحد، فقُيِّد الوجوب بمن استطاع ذلك؛ رحمة بغير المستطيع وتخفيفًا عنه، ولو تأملت كيفية الحج وهيئاته من أركان وواجبات وسنن -والتي تجدها مفصلة في كتب الفقه- لوجدت أن لكل عمل من أعمال الحج حكاية وقصة تُذكِّر بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وآله، فهو الذي أمره ربه جل وعلا بالدعوة للحج، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٦، ٢٧].

نشاط

١. يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧]

ارجع إلى قصص الأنبياء واستخرج قصة نبي الله إبراهيم مع زوجته هاجر وولده إسماعيل، ثم اربطها بأعمال الحج: الطواف حول الكعبة- السعي بين الصفا والمروة- رمي الجمرات- الذبح.

٢. ما هو حج التطوع وما هي عمرة التطوع؟ ابحث في هذا وسجل النتائج.

إثراء

للاستزادة عن أركان الإسلام، يمكنك الرجوع إلى كتاب "الأركان الخمسة حِكَم وأسرار" من هذه السلسلة.

اجتناب المحرمات والمنهيات:

كما تكون طاعة الله سبحانه في أداء الواجبات التي أمر بها، فإنها تكون في ترك المحرمات التي نهى عنها، والغرض من هذه المأمورات والمنهيات هو المحافظة على دين الإنسان ونفسه وعقله ونسله (أو عِرضِه) وماله، وهي الأمور الضرورية التي تقوم بها مصالح الناس في الدنيا والآخرة، والتي سبق شيء من الكلام عنها.

١. فأما النهي عما يضر بالدين، فاقرأ معي بتدبر وتأمل النصوص الآتية:

قال الله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله، وإلا فليصمت» [رواه البخاري برقم ٦١٠٨].

- **ماذا** تفهم من الآية والحديث؟
- **عمَّ** نهى الله سبحانه وتعالى في الآية؟
- **علِّل** النهي عن الحلف بغير الله تعالى حتى لو كان بالآباء؟

إن من واجبات المسلم أن يحافظ على دينه من أن يدخل فيه ما ليس منه، فلهذا نهاه الله سبحانه وتعالى عن الإشراك به، سواء في الاعتقاد بأن مع الله شريكًا، أو في العبادة والتعظيم، ومن هنا حرَّم عليه الحلف بغيره؛ لأن الحلف لا يكون إلا بعظيم له مقام التقديس، ولا ينبغي هذا التقديس لغير الله سبحانه.

وكذلك حرَّم عليه البدع، وحذره من الابتداع في العبادات، يقول رسول الله ﷺ: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هَدْيُ محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» [رواه مسلم برقم ٨٦٧].

٢. وأما ما يضر بالنفس والعقل، فاقرأ معي النصوص الآتية وتأمل في معناها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» [رواه البخاري برقم ٢٧٦٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

لماذا لا يحل للإنسان أن يقتل نفسه أو أن يلحق بها الأذى؟

لماذا حرَّم الله سبحانه شرب الخمر على عباده؟

ما أثر الخمر على الفرد والمجتمع؟

إن المسلم مطالب بالمحافظة على نفسه؛ لأنها أمانة الله التي وهبه إياها، وليس له حرية التصرف بها قتلًا وإيذاء، ولهذا حرَّم الإسلام الانتحار، وحرَّم أيضًا قتل الغير، وعدَّه من الكبائر التي تودي بصاحبها إلى العذاب.

والمسلم مطالب أيضًا بالحفاظ على عقله وعدم إيذائه، فلهذا حرم عليه أن يُذهبَه، سواء بالسُّكْر وشرب الخمر، أو تناول المخدرات، أو غير ذلك؛ لأن مدار تكريم الله سبحانه الإنسان وتفضيله على الحيوانات إنما هو بالعقل، فإذا ذهب عقله أصبحت الحيوانات أفضل منه حالًا؛ لأنها محكومة بغرائزها وهو محكوم بعقله، فإذا ذهب عقله لم يبق عليه حكم، فيغفل الإنسان عن ربه ودينه ونفسه ومَن حوله، وتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس، فلو قُلنا إن الخمر وذهاب العقل بمثابة تدمير ذاتي للإنسان والمجتمع، لما كان قولنا بعيدًا عن الحقيقة.

٣. وأما ما يضر بالمال والنسل (أو العِرض)، فاقرأ النصوص الآتية وتأمل في معناها جيدًا:

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًاۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: ١٠].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» [رواه البخاري برقم ٢٧٦٦].

وقال ﷺ: «فإن الله حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم» [رواه البخاري برقم ١٧٤٢].

لماذا خصت الآية الأولى أكل مال اليتيم ظلمًا؟ وماذا عن غير اليتيم؟ ولماذا جمع الحديث بينه وبين أكل الربا؟

ما دلالة النهي عن قذف المؤمنات العفيفات بالزنا؟

ما أثر ظاهرة الظلم والاعتداء على الأموال والأعراض على الفرد والمجتمع؟

أمر الإسلام المنتمين إليه بالحفاظ على المال لأنه قِوام العَيش، وبه تصلح الحياة وتستقيم، ونهاهم عن التعدي عليه بكل صور التعدي؛ بالسرقة أو استغلال الضعيف، أو بالإسراف والإضاعة، وغير ذلك.

فاليتيم ضعيف لا يحسن إدارة ماله، فحرم استغلال ضعفه والاستحواذ على ماله، والمضطر للمال قد يسعى للاقتراض فلا يحل للمسلم استغلال حاجة أخيه وأخذ الفائدة على قرضه، وهذا معنى الربا.

وأما الإسراف وإضاعة المال، فيناقض ما ينبغي من شكر نعمة الله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم ثلاثًا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» [رواه مسلم برقم ٥٩٣].

وأما تحريم التعدي على الأعراض والأنساب، سواء بالزنا أوالقذف به أو بالشتيمة، فلما فيه من إشاعة الفاحشة ودمار الأسر، وهدم المجتمعات.

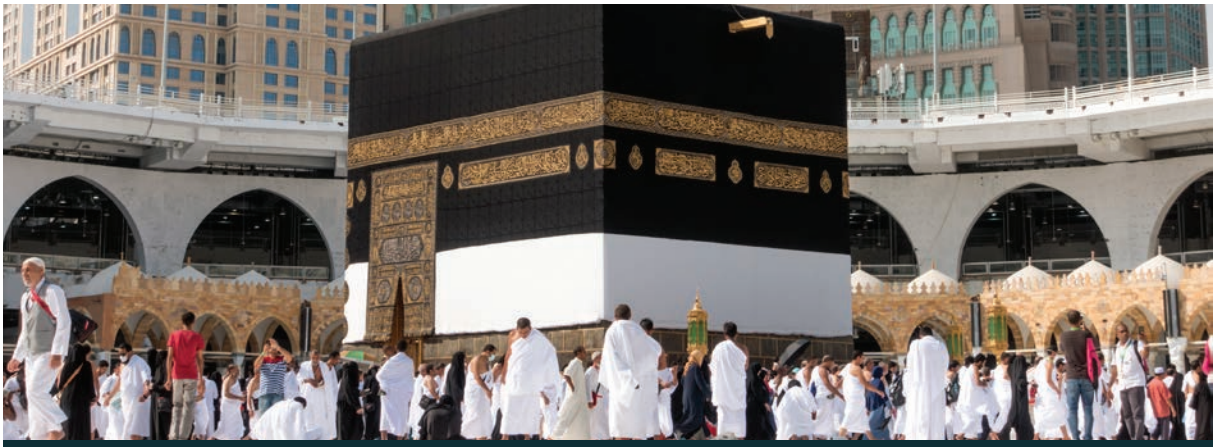

على الإنسان المسلم في علاقته مع خالقه تقديم الطاعة له، وتشمل أداء العبادات الأساسية التي تشكل دعائم إسلامه، وتبني في نفسه شخصية الفرد المسلم، ولا يصح انتماؤه إلى هذا الدين إلا بالتزامه بها وهي:

١. إعلان الإيمان بالنطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله).

٢. الحرص على دوام الصلة بالخالق بأداء الصلوات الخمس المفروضة (الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء).

٣. تقديم برهان على الإيمان بأداء الزكاة.

٤. التحصن بالدرع الواقي وهو صيام شهر رمضان.

٥. حج بيت الله الأول العتيق لمن استطاع إليه سبيلًا.

فهذه فروض لا ينبغي التقصير فيها ولا التكاسل عنها، ثم بعدها عليه أن يحصن تلك العبادات بالنوافل، فيزيد منها ما استطاع، وقد حضه الإسلام على هذا ورغبه فيه، يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» [رواه البخاري برقم ٦٥٠٢].

كما تشمل هذه الطاعة اجتناب ما نهى الله سبحانه عنه وحرَّمه عليه، فإنه ما نهى عن شيء إلا وفي اجتنابه مصلحة كبرى للمسلم في دينه أو نفسه أو مجتمعه.

الخلاصة

ثالثًا: الجانب الأخلاقي

بعد بناء عقلك في الجانب العلمي، وبناء نفسك في الجانب العبادي، وتأدية فروضك وترك المحرمات، والعمل بعلمك وتطبيقه على الواقع، بقي عليك إتمام بناء منظومة القيم الحميدة في نفسك، لأن الأخلاق مما يميز الإنسان عن سائر الحيوانات، فبناؤها في النفس يعني السمو إلى الكمال، وهذا مطلب أساسي يطالب الإسلام به أفراده المنتمين إليه، ولهذا ألقى على عاتقهم مسؤولية بناء هذه الأخلاق في أنفسهم.

اقرأ الأحاديث الآتية بتدبر:

قال ﷺ: "أَكْمَلُ المؤمنين إيمانًا أحسَنُهم أخلاقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم" [رواه الترمذي برقم ٧٤٧ وصححه].

وقال ﷺ: «ما من شيءٍ في الميزان أثقلُ من حُسْن الخلُق، وإنَّ اللَّه ليُبغِض الفاحشَ البذيءَ» [رواه الترمذي برقم ٢٠٠٢ وصححه].

وقال النبي ﷺ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ» [رواه مسلم برقم ٢٥٥٣].

- **ماذا** تفهم من النصوص السابقة؟
- **كيف** تُقوِّم مكانة الأخلاق في الإسلام؟
- **لماذا** ربط النبي ﷺ بين الأخلاق والإيمان؟
- **لماذا** يبغض الله سبحانه وتعالى الفاحش البذيء؟

للأخلاق في الإسلام ارتباط وثيق بالإيمان، بل هي السلوك العملي للإيمان، لذلك عد النبي ﷺ صاحب الأخلاق كامل الإيمان، لأن عكسها وهو الفحش والبذاءة يناقض البِرَّ (وهو كلمة جامعة لكل خير) الذي يسعى الإسلام لنشره في الأرض، وأنت ترى في حياتك بالتجربة الثابتة أن صاحب الخُلُق محبوب مألوف قريب إلى القلوب، لذلك جعل النبي ﷺ مقامه عاليًا فقال: "إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا" [رواه الترمذي برقم ٢٠١٨ وحسنه]، وجعل صاحب الخُلُق الحسن في مقام العابد الزاهد، فقال ﷺ: "إنَّ الرَّجُل لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصَّائمِ القائِم" [رواه أبو داود برقم ٤٧٩٨ وهو صحيح].

ومن الأخلاق الحميدة التي دعا الإسلام أفراده للالتزام بها على سبيل المثال لا الحصر:

الصدق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البِرِّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتَب صِدِّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتَب كذَّابًا» [رواه مسلم برقم ٢٦٠٧].

سلامة الصدر:

قال رسول الله ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا» [رواه البخاري برقم ٦٠٦٥]، وقال: «ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» [رواه البخاري: ٥٢].

العفو:

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

التواضع:

قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» [رواه مسلم برقم ٢٥٨٨].

الصبر:

قال الله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال رسول الله ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» [رواه البخاري برقم ١٤٦٩].

ترك المراء (الجدال):

قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحِقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازِحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» [رواه أبو داود برقم ٤٨٠٠ وحسنه الألباني].

التفاؤل:

قال ﷺ: «لا عدوى ولا طِيَرَة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة» [رواه البخاري برقم ٥٧٥٦].

نشاط

الحياء من الأخلاق الحميدة، ارجع إلى كتب السنة واذكر حديثًا يحض على هذا الخُلُق، واشرحه وشاركه مع زملائك.

قالت أم المؤمنين عائشة ﵂ عندما سُئِلت عن خُلُق النَّبيِّ ﷺ: «فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن» [رواه مسلم برقم ٧٤٦].

ناقش

- ابحث في القرآن الكريم عن الأخلاق التي أمر الله بها نبيه محمدًا ﷺ.
- ما أثر الأخلاق الحميدة في نفس الإنسان وفيمن حوله؟
- اذكر عددًا من الأخلاق التي ألزم الإسلام بها أتباعه غير ما ذُكِر.

إثراء

من الأخلاق ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب، ابحث في وسائل اكتساب الأخلاق الحميدة وناقشها مع أصدقائك، يمكنك الاستعانة بكتاب "الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة" لمحمد بن إبراهيم الحمد.

الخلاصة

حمَّل الإسلام أفراده المنتمين إليه مسؤولية بناء أنفسهم في جوانب متكاملة، فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويًا أثمر خُلُقًا قَويمًا، والعبادة تنعكس على نفس الفرد وجوارحه سلوكًا صالحًا، وضابط نفع العلم إنما هو الأخلاق، فإن زالت الأخلاق من العالم كان نتاجه كارثيًا على الفرد والمجتمع والأمم، وإذا بنى الفرد نفسه بهذا التلاحم والتلازم الثابت بين العبادة والعلم والأخلاق أصبح مهيأً لأداء مهمته التي كلفه الله سبحانه وتعالى بها وخلقه لأجلها.

واجبات المسلم الاجتماعية

المسؤولية المجتمعية:

بعد أن فرغت من بناء نفسك وشخصيتك الإسلامية الراقية، يدعوك الإسلام إلى البدء بالمهمة الثانية في طريق إعمار الأرض، إنها مسؤولية بناء المجتمع الصالح الذي ينهض على أكتاف أفراده الصالحين، فيدعوك أولًا لتحمل مسؤولية بناء أسرتك؛ لأنها نواة المجتمع وهي الأقرب إليك، ثم يحملك المسؤولية في بناء علاقة احترام ومحبة وترابط وتعاون بالأصحاب والجيران ثم الأبعد فالأبعد.

اقرأ بتدبر حديث النبي ﷺ الذي يقرر المسؤولية المجتمعية:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فإن لزوجك عليك حقًّا، ولولدك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا» [رواه مسلم برقم ١١٥٩].

وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» [رواه البخاري برقم ٨٩٣].

- ما العلاقة بين مفهوم الحقوق في النص الأول ومفهوم المسؤولية في الثاني؟
- حلِّل النص الثاني إلى أفكار جزئية وتمعن في معناه فماذا تفهم منه؟
- كيف يكون الرجل مسؤولًا في أهله؟ وكيف تفهم مسؤولية الزوجة عن بيت زوجها؟
- ما هي حقوق الأولاد على الآباء؟
- كيف يمكن تعميم مسؤولية الخادم تجاه مال سيده على الموظفين اليوم؟

رعاية نظام الأسرة:

يحمِّل الإسلامُ أفرادَه المنتمين إليه مسؤولية متبادلة لبناء مجتمع سوي ناجح، بدءًا من رأس الهرم إلى قاعدته، من الإمام الحاكم المسؤول عن شعبه، إلى الزوج والزوجة اللذين يشكلان الأسرة التي هي نواة المجتمع، انتهاء بالخادم.

وقد وزع الإسلام المسؤوليات بين الزوجين، ورسم إطارًا عامًّا تدور حوله حقوقهما وواجباتهما؛ فأمر الزوج بالإحسان إلى زوجته وحسن عشرتها وإكرامها، فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩]، وأمر الزوجة بطاعة زوجها وحفظه في ماله وعرضه قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء:٣٤].

ناقش

ابحث في القرآن والسنة عن الحقوق والواجبات التي شرعها الإسلام للزوجين وناقشها مع زملائك.

قوِّم توزيع الإسلام للحقوق والواجبات بين الزوجين من وجهة نظرك.

وأما تجاه الأبناء فقد أرشد الإسلام الأب بداية إلى اختيار أم صالحة لأولاده؛ لإقراره بدورها الكبير وأثرها العظيم في تنشئتهم، فقال ﷺ: "تخيَّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم" [رواه ابن ماجه برقم ١٩٦٨ وحسنه الألباني].

ثم أمره بحسن تربيتهم وتعليمهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، والمعنى: أدبوهم وعلموهم ما ينجيهم من النار.

وقال ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع» [رواه أبو داود برقم ٤٩٥ وصححه الألباني].

ثم أمره بمعاملتهم بالرحمة والرفق واللين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم» [رواه البخاري برقم ٥٩٩٧].

ناقش

ما أثر هذه الالتزامات التي ألقاها الإسلام على كاهل الأب في تنشئة الولد وتربيته؟

للأولاد حقوق على آبائهم غير ما ذُكِر، كالعدل بينهم، ناقش هذا الحق وأثره على بناء الأسرة وترابطها.

وفي المقابل شرع للآباء حقوقًا على أبنائهم، فأوجب على الأولاد بِرَّ آبائهم؛ لأنهم أصل وجودهم في الدنيا، وهم أحق الناس بحسن صحبة الأبناء لهم ونوال خيرهم، يقول الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، فانظر كيف قرن بِرَّ والديك بتوحيده وعبادته؛ لعظيم حقهما عليك.

وقد قدم الأم على الأب لأنها أضعف منه وأحوج إلى بر الولد، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» [رواه مسلم برقم ٢٥٤٨].

وكلمة الإحسان والبر عامة تشمل فعل كل ما ينفعهما واجتناب كل ما يؤذيهما ولو كان صغيرًا كقول (أُفٍّ)، قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، وتأمل في قوله جل وعلا: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ كم فيه من معان سامية، وتوقير واحترام للوالدين!

ولا ينقضي الواجب على المسلم تجاه والديه بذلك، بل يستمر واجب البرِّ إلى ما بعد موتهما؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ أن سائلًا قال له: "يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهودهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم الذي لا رحم لك إلا من قِبَلِهما» [رواه الحاكم برقم ٧٢٦٠ وصححه].

نشاط

قارن بين الواجبات التي فرضها الإسلام على الأبناء تجاه آبائهم، وبين التشريعات الوضعية في الدول الغربية مبينًا أثر هذه الواجبات والتشريعات على منظومة الأسرة، ثم أثرها على بناء المجتمع السليم.

التكافل الاجتماعي:

ثم بعد الوالدين والأبناء، نظم الإسلام المسؤولية تجاه الأقارب ومَن بَعدهم وَفق ترتيب الأَولى فالأَولى، فقال الله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦]، حيث أمر بالإحسان إلى ذوي القربى وصلة الرحم، ثم أمر برعاية اليتامى الذين فقدوا آباءهم ولا معيل لهم ولا كافل، ومثلهم المساكين والفقراء الذين لا يجدون ما يكفيهم من طعام أو لباس أو دواء، ومنهم المسنين الذين يعيشون معاناة سن الشيخوخة واحتياجاته الصحية والنفسية، ثم أوصى بالجار وشدد على الوصية به حتى كأنه أحد الأقرباء الذين لهم نصيب في الميراث، فعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه ليورثنه» [رواه مسلم برقم ٢٦٢٤]، ووصلت حرمة الجار لدرجة أن ينفي النبي ﷺ الإيمان الكامل عمن يؤذي جاره، فقد قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» [رواه البخاري برقم ٦٠١٦]، ومعنى "بوائقه": ظُلْمَه وشروره.

ثم أوصى بالإحسان للأصحاب الذي لهم حق الصداقة والمصاحبة، ثم عمم الوصية لتشمل كل المنتمين إلى الإسلام الذي ينتمي إليه المسلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ: "وكونوا عباد الله إخوانًا" [رواه البخاري برقم ٦٠٦٤]، ولخص حق الأخوة في الإسلام في شيء واحد؛ وهو أن

تعامل أخاك المسلم كما تعامل نفسك، وأن تتمنى وترضى له ما تتمناه وترضاه لنفسك، قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [رواه البخاري برقم ٣].

المسؤولية المهنية:

إن من أسباب تقدم الدول تحقيق مبدأ العدالة في تكافؤ الفرص الوظيفية، واختيار الشخص الأصلح ليشغل المكان المناسب، وهذا المبدأ أكد عليه الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا، ولو عدت إلى تاريخنا المشرف لوجدت أن من أهم أسباب قيام الحضارة الإسلامية وتطورها وانتشارها ودوامها؛ تأكيدها على مبدأ الكفاءة والأمانة في اختيار الولاة والعمال والموظفين، وتجد هذا واضحًا في الآيات والأحاديث الآتية، فاقرأ بتمعن وتدبر:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "من استعمل عاملًا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه؛ فقد خان الله، ورسوله، وجميع المسلمين" [رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم ٢٠٣٦٤].

- ماذا تفهم من النصوص السابقة؟
- ما هو معيار الاختيار لشغل المناصب الوظيفية بحسب الآية الأولى؟
- من رُشِّح لمنصب أو وظيفة يعلم في نفسه عدم صلاحيته لها ماذا عليه أن يفعل؟
- لماذا عد الإسلام عدم وضع الرَّجُل المناسب في المكان المناسب خيانة؟

ألقى الإسلام عليك -في سبيل بناء المجتمع السليم الصالح- مسؤولية مهنية تلزمك بالإخلاص في إنجاز عملك، ويحتم عليك هذا الإخلاص مراعاة حق المجتمع في أن تُولِّي الكفءَ الوظيفة المناسبة ليسهم في رقي الأمة ونهضتها، وأهم مقومات هذا الكفء القوة والأمانة، قوته في جسده وعلمه ونفسه على إنجاز مهام الوظيفة الموكلة إليه، ثم أمانته في عمله والتفاني فيه، وبذل أقصى جهد لتحقيق الإنتاج الجيد، وإن أوكلت إليك مهمة وظيفية ترى نفسك غير قادر على القيام بها على أكمل وجه، وتجد حولك من يقوم بها أفضل منك، فلا ينبغي لك قبول تلك المهمة؛ لأن انتماءك للإسلام يحرم عليك أن تتصدى لعمل أنت عنه عاجز.

وإن من أشد معاول الفساد فتكًا في جسم المجتمع أن ينعدم مبدأ تكافؤ الفرص، ويصبح معيار انتقاء واختيار الموظفين القرابة والمعرفة؛ فيتصدى للأعمال من ليس أهلًا لها، فهذا من علامات زوال الأمم، ولهذا

شـدَّد الإسـلام في ذلـك وبـيَّن أنـه مـن علامـات قيـام السـاعة، قـال النبـي ﷺ: «فـإذا ضيعـت الأمانـة فانتظـر السـاعة»، قـال: كيـف إضاعتهـا؟ قـال: «إذا وسِّـد الأمـر إلـى غيـر أهلـه فانتظـر السـاعة» [رواه البخـاري برقـم ٥٩].

عـن عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص رضي الله عنهما، قـال: «لعـن رسـول الله ﷺ الراشـي والمرتشـي» (رواه الترمـذي برقـم ١٣٣٧ وصححـه).

- **ماذا تفهم من هذا الحديث؟**
- **ما أثر الرِّشوة على المجتمع؟**
- **وضِّـح الفـرق بـين الرشـوة والهديـة التـي يتلقاهـا الإنسـان مـن معارفـه، لا بسـبب كونـه يشـغل وظيفـة مـا.**

ناقش

المسؤولية القانونية:

إن النظام والالتزام به، واحترام القوانين التي تنظم الحياة، من أدلة التطور والنمو العقلي والاجتماعي، وإن مبدأ احترام القانون من أساسيات نجاح المجتمعات ورقيها ونهضتها وسعادتها؛ إذ لا يصلح مجتمع بلا قانون، ولا فائدة من قانون لا يُلتزَم به، بل إن احترام الأنظمة والقوانين حاجة تستدعيها فطرة الإنسان لتنظيم حياته الاجتماعية مع من حوله، ومن هنا أوجب الإسلام على أفراده الالتزام بالقوانين التي يشرعها ولاة الأمر لتنظيم أمر الدولة والمجتمع، اقرأ النصوص الآتية وتفكر في معناها:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة» [رواه البخاري برقم ٧١٤٢].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله» [رواه البخاري برقم ٧١٩٩].

- ماذا تفهم من النصوص السابقة؟
- ما المقصود بأولي الأمر في الآية؟
- ما واجب المسلم تجاه قوانين الدولة؟
- أين تجد في هذه النصوص نهي الإسلام عن خرق القوانين وعدم الالتزام بها؟

إن الدولة والحاكم من حقه أن يسن القوانين الوضعية التي تنظم أمور الحياة التي تختلف من عصر لآخر ومن مكان إلى آخر -على ألا تتعارض هذه القوانين مع التشريع الإسلامي ومقاصد الدين- الأمر الذي يؤدي إلى ضبط إيقاع الحياة، وتوفير الأمن والأمان للمجتمعات ويقودها للتطور، ومن أمثلة ذلك: أنظمة المرور، والقوانين التي تنظم علميات البناء والإنشاء، وقوانين تنظيم ممارسة المهن المختلفة، وغير ذلك.

لذلك رتب الإسلام على أفراده مسؤولية قانونية باحترام تلك الأنظمة والقوانين ونهى عن مخالفتها -ما دامت لا تخالف الشرع- لأن مجتمعات الفوضى لا يمكن أن تنهض أو تؤسس حضارة أو تبني أمة أو تورث علمًا أو تصنع منجَزًا، فالفوضى شريعة الغاب، والنظام قانون الحياة، وبه تعمر الأرض.

ناقش

- الالتزام بالنظام يكرس فكرة العدالة والمساواة، بيِّن ذلك.
- اذكر أمثلة عن الالتزام بالنظام والقانون في بلدك.
- ما أثر الالتزام بالقوانين في بناء مجتمع سوي يمكنه إعمار الأرض؟

ارجع إلى كتاب «**العلاقات الاجتماعية في الإسلام**» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن البُعدَين الأخروي والأخلاقي في العلاقات الاجتماعية .

إن ميـزان تقـدم الأمم ومقـدار رقيهـا وحضارتهـا يتمثـل في قـدرة الأنظمـة والقوانـين علـى تنظيـم جوانـب الحيـاة، وكونهـا تطبـق علـى كل النـاس، وأخيـرًا في مـدى احتـرام أبنائهـا لهـا؛ فإشـارات الشـارع وإرشـاداته المروريـة والآداب العامـة تحفـظ حركـة النـاس وحياتهـم، والمعامـلات في الـوزارات ومرافـق الدولـة لهـا قوانـين ولوائـح لتسـيير حوائـج النـاس، والأمـن في حيـاة النـاس لـه ضوابـط وأنظمـة وقوانـين تكفـل الأمـن وتوفـر الراحـة وتحفـظ الأنفـس فـلا ينبغـي مخالفتهـا، فـإذا التزمـت بهـذه المسـؤوليات القانونيـة أنـت وغيـرك نهـض المجتمـع ولحـق بركـب التقـدم والرقـي.

إثراء

قيـل: تتكـوّن المسـؤولية الاجتماعيـة مـن عناصـر مترابطة ينمّـي كل منها الآخـر ويرتبـط بـه، ويدعمـه ويقوّيـه ويتكامـل معـه، وهذه العناصـر هي: الاهتمـام - الفهم - المشـاركة.

في ضوء فهمك لما سبق اشرح هذه العناصر مبينًا الترابط والتكامل بينها.

نشاط

مـن المسـؤوليات التـي يلقيهـا الإسـلام علـى كاهـل أفـراده: الدفـاع عـن الوطـن والـذود عـن حياضـه، ابحـث في أهميـة هـذه المسـؤولية وأثرهـا في قـوة المجتمـع.

واجبات المسلم الدعوية

مهمة الأنبياء:

انتهيت الآن من أداء مسؤولياتك تجاه نفسك وتجاه مجتمعك؛ بنيت نفسك إيمانيًّا وعباديًّا وأخلاقيًّا وعلميًّا، وأديت مسؤوليتك تجاه مجتمعك، فشاركت في نهضته نحو التقدم والتطور، فأصبحت الآن جاهزًا لتحمل المسؤولية الكبرى، المسؤولية التي حملها الأنبياء، إنها مسؤولية الدعوة إلى الله سبحانه.

اقرأ معي النصوص الآتية بتمعن وتفكر:

قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾ [القصص: ٨٧].

وعن سهل بن سعد ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم غزوة خيبر: «ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يُهدَى بك رجلٌ واحدٌ خير لك من حُمْر النَّعَم» [رواه البخاري برقم ٢٩٤٢].

- ماذا تفهم من النصوص السابقة؟

- بماذا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدًا ﷺ؟
- ما الطريقة التي يجب أن تكون بها الدعوة إلى الله؟
- ما جزاء الداعي إلى الخير والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؟
- ما فضل من هدى الله سبحانه وتعالى رجلًا على يديه؟

أنت مسلم، فلا بد أن تشعر أن أعظم نعمة حباك الله بها هي نعمة الهداية للإسلام، وهذه النعمة ليست حِكرًا على قوم دون غيرهم، بل هي عامة لكل الناس.

ولخطير أمر من فقد هذه النعمة وتعرضه لخسارة الآخرة؛ أوجب الله تعالى على أمة الإسلام أن تدعو البشرية إلى دين الله جل وعلا، لتنقذ الناس من العذاب الأليم، وكل فرد من أمة محمد ﷺ عليه أن يبذل في ذلك ما يستطيع، كما في الحديث الشريف: «بلغوا عني ولو آية» [رواه البخاري برقم ٣٤٦١].

فعليك أن تنقذ مَن تستطيع مِن هذا الخطر بأن تدعوه إلى دين الله الحق، وتبذل المستطاع في سبيل ذلك، مستذكرًا حالك قبل الهداية، ومستحضرًا نعمة الله عليك، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤].

كلفك الله سبحانه وتعالى حمل شعلة الأنبياء الذين أُرسِلوا لهداية البشرية، فألزمك مسؤولية الدعوة إليه، وطلب منك أن تسلك الطريق الذي سلكه الأنبياء في الدعوة؛ اللين والحكمة والموعظة الحسنة، فإذا أتم الله نعمته عليك وهُدِي رجل على يديك، فهو خير لك من المال النفيس والحياة الفارهة؛ لأن لك أجرًا عن كل أعماله الحسنة تجدها في صحيفتك يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» [رواه مسلم برقم ٢٦٧٤].

وميدان الدعوة إلى الله عز وجل واسع رحب، لا يقتصر على المؤسسة الدينية أو علماء الإسلام، بل كل مسلم داعية إلى الله، بعلمه، بلسانه، بماله، بعمله، بأخلاقه، بحسن تعامله، ويمكن تلخيص الدعوة في مجالات ثلاثة:

المجال الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اقرأ معي قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقول النبي ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا

من الماء مروا على مَن فوقَهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا، ونجَوا جميعًا" [رواه البخاري برقم ٢٤٩٣].

ماذا تفهم من النصين السابقين؟

بماذا امتدح الله تعالى أمة محمد ﷺ؟

ما المثل الذي ضربه النبي ﷺ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

أنت ترى كيف مدح الله تعالى هذه الأمة بأنها خير الأمم التي أخرجها للناس، وعلَّل ذلك بأنهم أكملوا أنفسهم بالإيمان به، والذي يستلزم طاعته والقيام بما أمرهم به والانتهاء عما نهاهم عنه، ثم دعَوا غيرهم إلى الكمال؛ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله تعالى وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغَيِّهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، يحبون النجاة لهم ولغيرهم، لأن الجميع على مركب واحد، وإذا أصاب هذا المركب شرخ أو ضرر كان الأثر على جميع راكبيه، فحيث ينتشر المنكر والفساد ينهار المجتمع؛ فيتضرر الصالحون والفاسدون، فتعدت مسؤولية إصلاح الفرد المسلم نفسَه إلى إصلاح غيره، لأن صلاحه لا يكتمل إلا بصلاح غيره. قال الله تعالى في وصف سبب لعن بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، فالأولون قصروا بفعل المنكر، والآخرون قصروا بعدم نهيهم ونصحهم وإرشادهم، فاستحق الجميع اللعن.

عـن أبـي سـعيد الخـدري ﷺ قـال: سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «مـن رأى منكـم منكـرًا فليغيـره بيـده، فـإن لـم يسـتطع فبلسـانه، فـإن لـم يسـتطع فبقلبـه، وذلـك أضعـف الإيمـان» [رواه مسـلم برقـم ٤٩].

ناقش

- اشرح معنى هذا الحديث في ضوء ما سبق.
- ما علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان؟
- التغيير باليد واللسان والقلب، كيف تفهم هذا التقسيم الثلاثي؟

ارجـع إلـى كتـاب «**فبهداهـم اقتـده**» مـن هـذه السلسـلة، وتعـرف علـى سـيرة بعـض الرسـل عليهـم السـلام في الدعـوة إلـى الله .

نشاط

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط وشروط. ابحث في الإنترنت عن هذه الشروط ولخصها في بحث وشاركه مع زملائك.

المجال الثاني: نشر الدين والدعوة إلى الله

والمقصود هنا دعوة غير المسلمين إلى دين الله تعالى وهدايتهم إلى الإسلام، وهذه أيضًا من مهام الرسل والأنبياء، اقرأ معي النصوص الآتية:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وعن عمار بن ياسر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «...اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين» [رواه أحمد برقم ١٨٣٢٥ بسند صحيح].

- ماذا تفهم من النصوص السابقة؟
- ما هي مهمة النبي ﷺ وأتباعه؟
- من أحسن الناس قولًا؟
- ما الدعاء الذي كان رسول الله ﷺ يدعو به ويعلمه أصحابَه؟

لو راجعت التاريخ لوجدت أنه لم يبذل أتباع دين من الجهد في نشر دينهم والدعوة إليه ما بذله المسلمون، وذلك لأن انتماءهم إلى الإسلام ألزمهم بهذه المسؤولية العظيمة؛ مسؤولية الهداية والإرشاد. وهذه المسؤولية ليست منوطة بفئة معينة من المسلمين، بل هي واجب على كل فرد مسلم قادر على الدعوة، فالمسلم كما وصفه النبي ﷺ في دعائه: مهدي إلى الدين الحق؛ فيتعبد ربه به، وهادٍ يهدي غيره إلى طريق السعادة الذي سار فيه؛ ليخرجه الله به من الظلمات إلى النور.

نشاط إثرائي

ارجع إلى كتب أصول الدعوة إلى الله المنشورة في الإنترنت، وعدِّد وسائل التبليغ والدعوة إلى الله تعالى، ثم حاول أن تستخدم بعض هذه الوسائل في دعوة صديق لك غير مسلم إلى الإسلام.

المجال الثالث: المحافظة على صورة الإسلام المشرقة

أنت تعلم -وكل من خبر دين الإسلام يعلم- كم هو نقي ناصع البياض، ومن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتق المنتمين للإسلام تجاه غير المسلمين إعطاء الصورة الحقيقية للإسلام، فهم سفراء لدينهم كما كان أجدادهم في القديم من الصحابة والتابعين سفراء لدينهم؛ لقد دخلت بلاد بأكملها في الإسلام بسبب ما رآه أهلها من أخلاق التجار المسلمين وصفاتهم الفاضلة وأمانتهم وحسن تعاملهم، فنحن اليوم مطالبون بأن نكون كما كانوا؛ لنكون دعاة إلى الله بأخلاقنا وأحوالنا، فإن للفعل أثرًا أعظم من الكلام في كثير من الأحيان.

اقرأ معي هذه القصة التي نُشرت في كثير من مواقع الإنترنت والتي حدثت في لندن لمسلم مع سائق حافلة عمومية غير مسلم:

انتقل أحد المسلمين للسكن في مدينة لندن، وكان يركب الحافلة من منزله إلى مكان عمله والعكس كل يوم، وفي أحد المرات دفع أجرة الحافلة وجلس، فاكتشف أن السائق أعاد له ٢٠ بنسًا زيادة عن المفترض من الأجرة. فكر المسلم وقال في نفسه: "علي إرجاع المبلغ الزائد لأنه ليس من حقي"، ثم فكر مرة أخرى وقال في نفسه: "انسَ الأمر، فالمبلغ زهيد وضئيل، ولن يهتم به أحد".

توقفت الحافلة عند المحطة التي يريدها المسلم، ولكنه قبل أن ينزل توقف لحظة ومد يده وأعطى السائق العشرين بنسًا وقال له: تفضل، أعطيتني أكثر مما أستحق من المال.

أخذ السائق النقود وابتسم، وسأله: "ألست الساكن المسلم الجديد في هذه المنطقة؟ إني أفكر منذ مدة في الذهاب إلى مسجدكم للتعرف على الإسلام، ولقد أعطيتك المبلغ الزائد عمدًا لأرى كيف سيكون تصرفك".

عندما نزل المسلم من الحافلة، شعر بضعف في ساقيه وكاد أن يقع أرضًا من رهبة الموقف، فتمسك بأقرب عمود ليستند عليه، ونظر إلى السماء وتضرع باكيًا: يا الله، كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنسًا!!

ماذا تفهم من هذه القصة؟ ولماذا أرجع سائق الحافلة زيادة لهذا الراكب المسلم؟

بماذا حدَّث المسلم نفسه؟ وماذا فعل بالزيادة؟

كيف كانت ردة فعل السائق حين أرجع المسلم له الزيادة؟

لو كنت مكان هذا المسلم ماذا كنت ستفعل ؟

ما معنى قول صاحب القصة: كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنسًا؟

أنت يا صديقي النافذة التي يرى منها الآخرون الإسلام، فحاول أن يكون زجاج هذه النافذة نظيفًا ليعكس الصورة الناصعة المشرقة للإسلام، أنت بانتمائك للإسلام صرت قدوة للآخرين، فكن قدوة حسنة تعكس حُسن الإسلام، وكن داعية بأخلاقك، فبالرغم من الأهمية الكبيرة لتعريف الناس بالإسلام والدعوة إليه بالكلام، لكن التعريف به من خلال تطبيق تعاليمه وأخلاقياته عمليًّا على أرض الواقع أكبر أهمية؛ لأنه أوقع في النفوس وأوصل إلى القلب والعقل معًا.

نشاط إثرائي

ورد في كتب السير أن التابعي الجليل محمد بن المنكدر كان يبيع الثياب، بعضها بخمسة وبعضها بعشرة، فباع عامل عنده -في غيبته- ثوبًا من فئة الخمسة بعشرة، فلما عرف محمد بن المنكدر بذلك لم يزل يطلب ذلك المشتري طول النهار حتى وجده، فقال له: إن العامل قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت. فقال ابن المنكدر: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ ثوبًا بقيمة عشرة دراهم، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد الثوب وتأخذ دراهمك. فقال: أعطني خمسة. فردَّ عليه خمسة، وانصرف المشتري يسأل: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر.

نشاط

دخل كثير من الناس في الإسلام عن طريق مثل هؤلاء التجار المسلمين، ابحث في كتب التاريخ عن البلاد التي تعرَّف أهلها على الإسلام عن طريق التجار، ولخِّص نتيجة بحثك في بحث وشاركه مع زملائك.

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

١. **أول ما يُسأَل الإنسان ويحاسب عليه في الإسلام:**

أ. نفسه

ب. أهله

ج. مجتمعه

د. أهل دينه

هـ. كل ما سبق صحيح

٢. **إعلان الإيمان يكون بـ:**

أ. الصلاة

ب. الزكاة

ج. الحج

د. النطق بالشهادتين.

هـ. كل ما سبق صحيح

٢ عدِّد جوانب المسؤولية التي ألقاها الإسلام على عاتق المنتمين إليه.

٣ علِّل اقتران شهادة "أن محمدًا رسول اللّٰه" مع شهادة "لا إله إلا اللّٰه".

٤ علِّل تسمية الزكاة بالصدقة.

٥ اشرح معنى: "الصوم جُنَّة".

٦ إلى ماذا يرمز الحج، آخر أركان الإسلام؟

٧ لماذا أوجب الإسلام على أفراده بناء أنفسهم علميًا؟

٨ عدِّد بعض الأخلاق الحميدة التي دعا الإسلام أفراده للالتزام بها.

٩ ما واجبات الأب تجاه ولده؟

١٠ تكلم بإيجاز عن المسؤولية المهنية التي كلف بها الإسلام أفراده.

١١ اضرب مثالًا عن المسؤولية القانونية التي أوجبها الإسلام على أفراده في العصر الحديث.

١٢ أجب بصح أو خطأ وصحِّح الخطأ:

١. أثر الفاسدين في المجتمع يقتصر عليهم ولا يتعدى إلى الصالحين.

.....

.....

٢. كل مسلم سفير لدينه أمام غير المسلمين.

.....

.....

٣. ينقضي واجب المسلم تجاه أبويه بموتهما.

.....

.....

٤. سُمِّيَت الزكاة زكاة لأنها تزكي أخلاق العبد.

.....

.....

٥. كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد تعلقًا بخالقه وازداد خشية له.

.....

.....

٦. للدولة الحق في سن القوانين الوضعية بضابط واحد هو تحقق المصلحة.

.....

.....

بشريات المسلم إن استقام على دينه

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على حقوق المسلم على المسلم.
- يتعرف على بشريات المسلم في الدنيا إن استقام على دينه.
- يتعرف على بشريات المسلم في الآخرة إن استقام على دينه.

العطاءِ يقابَل بالعطاء

بعد أن علمتَ ما يترتب عليك عند انتمائك لدين الإسلام العظيم، فقد تثور في عقلك أسئلة وجيهة مشروعة:

ماذا يرتِّب لي انتمائي للإسلام من حقوق؟

وهل هي مادية أم معنوية؟

وهل هي دنيوية أم أخروية؟

إن وفاءك بالتزامات انتمائك للإسلام يخولك حقوقًا عظيمة، ويعطيك بشريات جليلة؛ حقوقًا لك على أخيك المسلم، وبشرياتٍ بالنصر والتأييد في الدنيا، وجزاءً الحسنى في الآخرة، فالعطاء يقابله العطاء، وقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠].

حقوق المسلم على المسلم:

أنت تعلم بلا شك أنه لا طبقية في الإسلام، وأن أفراده سواسية، ومن هنا كان الالتزام الذي يفرضه الإسلام عليك تجاه الآخرين هو ذاته التزامهم تجاهك، فلكونك فردًا منتميًا للإسلام فإن لك من الحقوق مثل الذي عليك من الواجبات، تأمل معي هذه الأحاديث النبوية الشريفة:

عن عبد الله بن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» [رواه البخاري برقم ٢٤٤٢].

وعن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت النبي ﷺ على النصح لكل مسلم» [رواه مسلم برقم ٥٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» [رواه البخاري (١٢٤٠) ومسلم (٢١٦٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسَمِّته، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فَاتَّبِعْهُ» [رواه مسلم (٢١٦٢)].

- ماذا تفهم من هذه الأحاديث؟
- ما العلاقة المذكورة في قوله: المسلم أخو المسلم؟
- إذا كانت العلاقة تبادلية بين المسلمَين فما الحقوق المتبادلة بينهما؟
- لماذا حرَّم الإسلام على المسلم أن يظلم مسلمًا أو أن يتركه في يد الظالم ولا ينصره؟
- اذكر بعض حقوق المسلم على المسلم كما فهمتها من النصوص السابقة.

جعل الإسلام العلاقة بين المسلمين تبادلية في الحقوق والواجبات، فللمسلم من الحقوق على أخيه المسلم كالذي عليه من الواجبات تجاهه؛ فإن لك مني الاحترام والأخوة، وألا أظلمك، وإذا وجدتك في يد ظالم ألا أتخلى عنك ولا أخذلك، وإن كنت ذا حاجة وأنا قادر على قضائها لك فينبغي لي أن أقضيها لك، وأن أفرج كربتك، وإن بدت لي منك عورة فالإسلام يؤكد علي أن أسترها ولا أفضحها، وهذه الحقوق التي لك علي، لي مثلها أيضًا عليك، لأننا تساوينا في الانتماء إلى هذا الإسلام، فتساوينا في أداء الواجبات وتساوينا في الحقوق.

إثراء

ناقش في ضوء ما سبق مسألة النصح بين المسلمين.

بشريات المعونة والفوز العظيم

اقرأ ما يلي بتفكر وتدبر:

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

[النور: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

[الأنبياء: ١٠٥].

- ماذا تفهم من الآيتين السابقتين؟
- بماذا وعد الله المنتمين إلى الإسلام والمستقيمين على دينه؟
- ما شرط تحقق الوعد الذي وعد الله به المسلمين؟
- في الآيات بشريات أربع للمسلم الذي التزم بدينه فما هي؟

وعد الله عز وجل المنتمين إلى دينه الحق، الملتزمين به سلوكًا واقعًا والمؤدين ما عليهم من واجبات وحقوق ألا يخذلهم، وأن ينصرهم، وأن يرفعهم فوق الأمم، وأن يجعلهم خلفاء الأرض ووُرَّاثها، وأن يُمَكِّن لهم دينهم فيعلوَ فوق الأديان، وأن يصرف عنهم الخوف الحاصل من تكالب الأعداء عليهم بسبب انتمائهم لهذا الدين، وقد وفَّى الله سبحانه وتعالى بوعده حين التزم المسلمون بدينهم؛ فقامت دولة الإسلام، وامتدت في المشارق والمغارب، إلى أن ابتعد المسلمون عن

دينهم، وفقدوا شرط التمكين، فتخلفوا عن ركب الحضارة، وتأخروا في ذيل الأمم، وقد وضَّح النبي ﷺ أن لا عز ولا تمكين لنا إلا بإقامة الدين كما أراد الله عز وجل، بإطاعة الله في أوامره، واجتناب ما نهى عنه، وبتقديم الآخرة على الدنيا، والجهاد في سبيل الله بكل معانيه، والمجتمع الذي لا يلتزم بواجباته السابقة يحق فيه قول النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» [رواه أبو داود: ٣٤٦٢، وصححه الألباني].

ناقش

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [محمد: ٧].

- **كيف تفهم نصر المؤمنين لله تعالى؟**
- **هل الوعد بالنصر للجماعة أم للفرد المسلم؟ ناقش هذا مبينًا رأيك مع الدليل.**

قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آل عمران: ١٢].

كيف وعد الله الرسل والنبيين بالغلبة ثم يقتلهم قومهم؟ كيف توفِّق بين الآيتين في رأيك؟

إثراء

جزاء الحسنى في الآخرة:

ما سبق هو الجزاء في الدنيا، وأما في الآخرة فاقرأ هذه الآية وهذا الحديث بتمعن وتأمل:

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

وعن الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يدخلهم الجنة» [رواه البخاري برقم ٥٩٦٧ وأحمد واللفظ له].

- ماذا تفهم من الآية والحديث؟
- بماذا وعد الله تعالى المحسنين؟
- ما هي الزيادة التي وعدها الله تعالى فوق الحسنى؟
- ما حق الله تعالى على عباده؟
- ما عاقبة المؤمن بالله إن عبده ولم يشرك به؟

أعظم الحقوق التي وعدها اللهُ سبحانه المسلمَ المستقيمَ على دينه والملتزم به دخولُ الجنة، وهي الحسنى التي ذكرها في الآية، فأما الزيادة فإنها النظر إلى وجهه الكريم، وأنعِم بهذا الوعد وهذا الحق، والذي لا يناله إلا السعيد الذي ﷺ، فالجنة دار السعادة الأبدية، دار الفوز والفلاح، قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]» [رواه البخاري برقم ٤٤٢٣].

إثراء

١. لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى نعيم الجنة عن المؤمنين؟

٢. وُصِف نعيم الجنة في كثير من الآيات، عدد بعض تلك الأوصاف.

التقويم

١ اشرح باختصار حقوق المسلم على المسلم.

٢ بماذا وعد الله سبحانه من وفَّى بالتزاماته تجاه دينه في الدنيا؟

٣ ما عاقبة من التزم بتعاليم الإسلام في الآخرة؟

٤ ما حق العباد على الله إن هم أطاعوه؟ اذكر دليلًا.

الخاتمة

بعد هذا العرض لمبررات انتمائك للإسلام، والواجبات والالتزامات التي يرتبها عليك هذا الانتماء، والحقوق التي يعطيك إياها، تعال معي لنوازن بين هذه الحقوق والواجبات وننظر: هل هي متعادلة، أم أن واحدة تزيد على الأخرى؟

إن استعراض هذه الحقوق والواجبات استعراضًا سريعًا يظهر بكل جلاء أنها متعادلة؛ فالمسلم إن قام ببناء نفسه في كل المجالات التي مرت سابقًا؛ العبادية والعلمية والأخلاقية فإنما هي لمصلحة نفسه أولًا، فلكل جانب من هذه الجوانب أثر كبير على قلبه وعقله ونفسه وجسده، لأن هذا منبثق من حق النفس على النفس، فالله سبحانه وتعالى راعى متطلبات نفسك فألزمك بها، ولئن كانت صورة تحصيل حق نفسك هي الالتزام والوجوب فإن مآل ذلك هو نفعك أنت وصلاحك أنت، كالدواء للمريض، فقد يكون مُرًّا لكنه يلتزم فيه بأمر الطبيب لأنه يرجو به الشفاء، ولله المثل الأعلى، فليس شفاؤه كشفاء أحد من خلقه، فإن شفاءه ودواءه فيه حياة لنا، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، دعانا وهو الأعلم بما يصلح لنا ويصلحنا، يقول سبحانه: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤].

فكل هذه الواجبات والالتزامات التي فرضها الله عليك، إنما هي لحكمة، وفيها منفعتك وسعادة حياتك في الدنيا والآخرة، علمتَ هذه الحكمة أو جهلتَها.

وكذلك الواجبات الاجتماعية التي ألزمك الإسلام بها، لو تمعنت فيها جيدًا لرأيت لك فيها مثل الذي عليك، لأن الحقوق والواجبات فيها قائمة على التبادل؛ تبر والديك فيبرك أبناؤك، تحسن لجارك فيحسن إليك، لا تَظلِم ولا تُظلَم، وإن قام المجتمع على هذا ساد فيه السلام والوئام.

أما الواجبات الدعوية فالتعادل فيها يظهر إن علمت أنك إن قصرت فيها فسد كل ما سبق، كما لو كنت شريكًا في تجارة، وراح شريكك يقوم بتصرفات تفضي إلى الخسارة والإفلاس، فإنك إن تجشمت عناء نصحه والإنكار عليه وأمره بالصواب، صُنت مالك وماله من الخسارة وتجارتك وتجارته من الإفلاس، أما إن اتخذت موقفًا سلبيًّا وسكتَّ عن تصرفاته عاد الضرر عليه وعليك، فكذلك أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر في المجتمع الإسلامي، لك فيه مصلحة، وهو حق لك كما هو واجب عليك.

وأما واجب نشر الدين، والمحافظة على صورة الإسلام الناصعة، والعمل بتعاليمه، فهذا يقابله التمكين والنصر الذي وعد الله به عباده الصالحين، فيورثهم الأرض ويستخلفهم فيها، وينشر عليهم الأمن والطمأنينة، فإن تركوا العمل بالدين والدعوة إلى الله استبدلهم بقوم يحبهم ويحبونه، ولا يخافون في الله لومة لائم.

هذا باستعراض سريع، لكنك إن أمعنت النظر فيما سبق وكررت التفكير فيه، فستجد أن للفرد المسلم بانتمائه للإسلام أكثر بكثير مما عليه، لأن ما ذُكر إنما هو في الحياة الدنيا، وقد تكافأت الحقوق فيها والواجبات وتعادلت، ثم إن له بعد ذلك عاقبة الحسنى في الآخرة؛ له حق دخول الجنة التي فيها من النعيم ما لا يتخيله بشر، وإن أدنى نعيمها خير من كل هذه الدنيا، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ولَقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب» [رواه البخاري برقم ٣٢٥٣]، فموضع صغير من الجنة كقدر طول القوس، أو قدر ما بين الوتر والقوس خير من كل هذه الدنيا، فكيف ببقية المواضع؟!

ثم إن نعيم الجنة دائم لا ينقطع، والمؤمن يخلد فيها ولا يموت، فكيف يعادِل هذا الفضل العظيم الأبدي التزامات وواجبات في الدنيا لوقت قصير وزمن محدود؟! لا شك أن كفة عطاء الله أعظم من كل تلك الواجبات.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: ٦٠].

ويبقى في الختام أمرٌ مهمٌّ، وهو أنَّ هذه الواجبات والالتزامات التي قد يجد فيها المرء شيئًا من المشقة، فإن من يؤديها وقد امتلأ قلبه بالإيمان بالله ومحبته وتعظيمه، سيجد في أدائها لذة وحلاوة، وسيعرف معنى طمأنينة النفس، فلا يلاحظ معها ثقل الواجب وعناءه، بل يلاحظ عظمة الخالق الذي أمر به فتدفعه محبته إلى المزيد من الطاعات، هذه حال الملتزم المستقيم على دين الإسلام، وهذه الحال التي ينبغي أن يكون عليها كل مسلم.

والحمد لله رب العالمين

مركز أصول
www.osoulcenter.com

يأتي هذا الكتاب للإجابة عن أسئلة: لماذا أنتمي للإسلام؟ وما الأسباب التي تدعو إلى الانتماء إليه من بين سائر الأديان؟ وما هي الواجبات والحقوق التي تترتب على هذا الانتماء؟

ويعالج الكتاب هذه الموضوعات بطريقة تعزز الالتزام بهذا الدين، وتعزز التمسك به وبما فرضه من واجبات وما أعطاه من حقوق؛ فعندما يتبين الإنسان الأسباب التي تدفعه إلى أن ينتمي للإسلام، وحين يتعرف على فضائل الإسلام ومحاسنه العقدية والتشريعية والأخلاقية، ويتبين المقومات التي تجعله دين الحق، ثم الأسباب التي توجب التمسك بشريعته، ويكتشف أنه الخيار الوحيد والأفضل للإنسان الباحث عن الحق؛ سيكون التزامه بواجباته أكبر وأعظم.

سيبين الكتاب أيضًا حقوق المسلم؛ كحقه على أخيه المسلم، وحقه على المجتمع، كما سيبين البشريات التي وعده الله تعالى بها في الدنيا والآخرة إن استقام على دينه وأدى واجباته، وهذا سيجعله يتنعم بحقوقه التي هي له ويعطيها قدرها.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

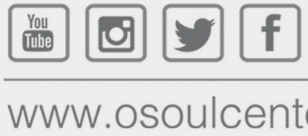

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com